سماحة الأديان ودورها

في

التنمية الإجتماعية والإقتصادية

الكاتب الإسلامي

السيد الصوري

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

دار الشريف للنشر والتوزيع

الكتاب	سماحة الإسلام ودورها في التنمية الإقتصادية والإجتماعية
المؤلف	السيد الصوري
الناشر	دار الشريف للنشر والتوزيع
حقوق الطبع	محفوظة للناشر
الطبعة الأولى	٢٠٠٣
المطابع	شركة الجزيرة العالمية للطباعة الحديثة
رقم الإيداع	١٠٠٢٩ /٢٠٠٣

تقريظ

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، و من علينا باتباع سيد الأنام جعلنا خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر و نؤمن بالله . و تدعو إليه . رضينا بالله رباً و بالإسلام ديناً و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبياً و رسولاً . اللهم لك الحمد بالقرآن و لك الحمد بالإسلام و لك الحمد بالإيمان . سبحانك لا نحصي ثناء عليك . و أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له . و أشهد أن سيدنا و نبينا محمداً عبده و رسوله ، المبعوث بالهدي و دين الحق . أظهر الله دينه على الدين كله و لو كره المشركون . صلى الله و سلم و بارك عليه و على آله و صحبه ، فتحوا الفتوح ، و مصروا الأمصار ، و نشروا دين الله من المهاجرين و الأنصار و التابعين ، و من تبعهم بإحسان و على هديهم اقتفى و نهجهم سار .

أما بعد :

فأوصيكم أيها الناس و نفسي بتقوى الله عز و جل . فاتقوه حق تقاته و لا تموتن إلا و أنتم مسلمون ، و اتقوه ما استطعتم و اسمعوا و أطيعوا و أنفقوا خيراً لأنفسكم ، إنه من يتق و يصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين .

أيها المسلمون : إن ما يعانيه عالم اليوم من تفكك و تمرد و إرهاب و اضطراب ما كان إلا لطغيان المادة و عجز المبادىء المعاصرة عن ضبط الإنسان في سلوكه ، و التوازن في إشباع حاجاته و متطلباته . إن المعاصرين أخطأوا كثيراً ، و ضلوا ضلالاً بعيداً حين زعموا الفصل بين العلم و مكتشفاته و مخترعاته و بين مبادىء الدين الحق و سامي الخلق و مقدسات الأديان .

العلم بمفهومه المعاصر حاول بسط احتكاره و سطوته و طغيانه على العقول و المفاهيم . انفصل عن الدين ، بل ألغى الدين و احتقره و تنكر لله و لوجوده و استحقاقه للعبادة سبحانه عز شأنه .

إن انفصال العلم و التقنية عن القيم و موازين الأخلاق و مبادىء الأديان بلغ حداً مريعاً مفزعاً .

إن إنسان اليوم في حضارة اليوم لم يعد إنساناً سوياً لأنه متأثر بحضارة غير سوية فهو لا يتصور العيش إلا قوياً ظالماً أو ضعيفاً مظلوماً .

مدنية اليوم حولت البشر إلى عبيد للدنيا و التراب ، جعلت جماهير غفيرة تحيا ليومها و شهواتها و أهوائها و ملذاتها و تذهل عن مصيرها . تكدح لمآربها القريبة و لا تفكر تفكيراً جاداً في مرضاة الله و العمل الصالح و لا إلى أين المصير ؟ .

بل مع الأسف لقد طوعوا التقدم العلمي المحمود طوعوه لخدمة غرائز خسيسة بل هيؤا العالم فيه لحروب طاحنة متلاحقة لا يخرج من واحدة إلا و يستعد لأخرى في مشكلات داخلية و إقليمية و عالمية .

تعلقت القلوب بأطماع غير متناهية ، الناس تأكل و لا تشبع ، و تشرب و لا ترتوي . حياة تدفع الأفراد و الدول إلى حراك مسعور ، يدور المرء فيه حول نفسه و لا يزال يدور و يلهث حتى يدركه التعب و الإعياء ثم يسقط عجزاً و هلاكاً و شقاءً .

أيها الأخوة : و من أجل الخلاص من هذا البلاء بل من هذا العذاب المهين و هذا الدمار الماحق . فهذا نداء مخلص موجه لأصحاب القرار في العالم ، خطاب صادق لكل مؤثر في مسار العالم و الحياة ، دعوة رقيقة للسياسيين و الاقتصاديين ، و الإعلاميين و المربين ، و رجال الدين في الأمم الأخرى ، بل إنه نداء للناس جميعاً إنه نداء موجه لكل من كان في موقع توجيه و تأثير .

إنه دعوة بدعوة الله عز و جل و بدعوة رسوله محمد ﷺ : قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(آل عمران ٠٦٤)

شرح غريب الألفاظ:

﴿ سَوَآءِۭ ﴾

إنصاف وعدل

ترجمة المعاني:

Say (O Muhammad (peace be upon him)) "O people of the Scripture (Jews and Christians): Come to a word that is just between us and you, that we worship none but Allâh (Alone), and that we associate no partners with Him, and that none of us shall take others as lords besides Allâh. Then, if they turn away, say: "Bear witness that we are Muslims."

تفسير الجلالين:

"قل يا أهل الكتاب" اليهود والنصارى
"تعالوا إلى كلمة سواء" مصدر بمعنى مستو أمرها
"بيننا وبينكم" هي
"ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله" كما اتخذتم الأحبار والرهبان
"فإن تولوا" أعرضوا عن التوحيد
"فقولوا" أنتم لهم
"اشهدوا بأنا مسلمون" موحدون

و قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾

(النساء ١٧٤-١٧٥)

شرح غريب الألفاظ:

﴿ بُرۡهَـٰنٞ ﴾

حجة

﴿ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾

القرآن

ترجمة المعاني:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ ﴾

O mankind! Verily, there has come to you a convincing proof (Prophet Muhammad (peace be upon him)) from your Lord; and We sent down to you a manifest light (this Qur'ân).

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ ﴾

So, as for those who believed in Allâh and held fast to Him, He will admit them to His Mercy and Grace (i.e. Paradise), and guide them to Himself by the Straight Path.

تفسير الجلالين:

"يا أيها الناس قد جاءكم برهان" حجة

"من ربكم" عليكم وهو النبي ﷺ .

"وأنزلنا إليكم نورا مبينا" بينا وهو القرآن

"فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا" طريقا "مستقيما" هو دين الإسلام

أسلموا تسلموا يؤتكم الله أجركم مرتين و السلام على من اتبع الهدى . أيها العقلاء يا أصحاب الفكر الرشيد : إننا نخاطب فيكم عقولكم ، و أفهامكم السديدة و نظركم العادل في طلب الحق ، و سعيكم الصادق في ابتغاء السعادة . إنه لا يقدر على إطفاء هذا اللهيب و إيقاف هذا اللهاث إلا الإسلام الذي يوقف الإنسانية كلها راغبة راهبة أمام ربها الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفواً أحد .

أيها العقلاء : الإسلام حقيقة قديمة غير جديدة ، إنه الدين الذي بلغه رسل الله جميعاً ، فلا خلاف بين ما قاله آدم و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمد و غيرهم من أنبياء الله عليهم جميعاً صلوات الله و سلامه .

إنها وحدة دينية يقررها قرآننا و دستورنا :قال تعالى : ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

(الشورى ٠١٣)

شرح غريب الألفاظ:

﴿ شَرَعَ ﴾

سَنَّ وفرض

﴿ مَا وَصَّىٰ ﴾

ما أمر به وألزم

﴿ ٱلدِّينَ ﴾

الإسلام

﴿ تَتَفَرَّقُواْ ﴾

تختلفوا

﴿ كَبُرَ ﴾

عظم

﴿ يَجۡتَبِيٓ ﴾

يصطفي ويختار

﴿ يُنِيبُ ﴾

يُقبل على طاعته

ترجمة المعاني:

He (Allâh) has ordained for you the same religion (Islâmic Monotheism) which He ordained for Nûh (Noah), and that which We have revealed to you (O Muhammad (peace be upon him)) and that which We ordained for Ibrahîm (Abraham), Mûsa (Moses) and 'Isâ (Jesus) saying you should establish religion (i.e. to do what it orders you to do practically), and make no divisions in it (religion) (i.e. various sects in religion). Intolerable for the Mushrikûn , is that (Islâmic Monotheism) to which you (O Muhammad (peace be upon him)) call them. Allâh chooses for Himself whom He wills, and guides unto Himself who turns to Him in repentance and in obedience.

تفسير الجلالين:

"شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا" هو أول أنبياء الشريعة
"والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" هذا هو المشروع الموصى به والموحى إلى محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوحيد
"كبر" عظم
"على المشركين ما تدعوهم إليه" من التوحيد
"الله يجتبي إليه" إلى التوحيد
"من يشاء ويهدي إليه من ينيب" يقبل إلى طاعته

" .قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . "
إنها الوحدة الدينية التي تؤآخي بين الأنبياء ، و توقر الصحيح من صحائفهم ، و تحقق في هذا العالم أهدافهم " يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل
إنها رسالات الله إلى أنبيائه ، نور كلها تكشف الباطل ، و تحق الحق ، و تمنح الحرية ، و تأبى العبودية إلا لله وحده لا شريك له .
أيها القارئ : إن الدين يحتم على أهله البلاغ و البشارة و الانذار . إنه يحرم كتمان الحق ، و من كتم الحق فهو متوعد عند الله باللعن و الطرد و العذاب الشديد : " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . "
إن الدعوة إلى الإسلام إرشاد إلى أنفس حق في الوجود ، و توجيه إلى خيري الدنيا و الآخرة جميعاً . الإسلام إنقاذ من أسباب الهلاك الذي يتهدد البشرية في العاجلة و الآجلة . إنه تمكين للأمم لمعرفة سبيل الهدى و الرحمة و النجاة .
عباد الله : تعاليم الإسلام هي التي قلمت أظافر الكهنة ، و أبطلت صكوك الغفران ، و هذبت طقوس العباد ، و ألزمت رجال الدين أن يرفعوا وصايتهم عن نشاط العقل الإنساني .
دين الإسلام هو الخلاصة النقية السهلة التي جمعت الحق كله في أسلوب من القول و البيان ، بريء من اللغو و التعقيد . و هو الهدى المغني عن تجارب الخطأ و الصواب ، و هو الصراط الحق الواقي من الكبوة و العثار . دين الإسلام له نظرته المتكاملة المتسقة لاحترام العالم و الناس و الحياة و الأحياء .
ما من شيء يصون الأفئدة و يضمن سلامتها ، و يضبط الشهوات و يمنع ضرواتها ، و يحفظ الفطرة و يستبقي أصالتها إلا و الإسلام قد ضمنه و دل عليه .
في الإسلام لا يختلف صحيح النقل مع صريح العقل ، و لا يتناقض فيه الوحي مع سليم الفكر ، فصراط الله واحد مستقيم لا يتعدد : " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله"
إذا كان الأمر كذلك أيها الأخوة فهذه إشارات إلى بعض مبادىء الدين الكبرى و آثار الإيمان العليا .

فالتوحيد هو أصل دين الإسلام و هو ارتباط بالله وحده و تجريد للتعلق به وحده دون ما سواه ، نبذ للأنداد و الشركاء ، لأنهم لا ينفعون و لا يضرون و ليس لهم من الأمر شيء : " قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران ، " خضوع لله بالطاعة ، و تصديق بما أخبر ، و إيمان به و برسله و كتبه و رسالاته .

خضوع الخلائق كلها للملك الديان . أوجدهم بقدرته ، و أمدهم بقوته ، و رباهم بنعمته ، فاستسلموا لحكمه و حكمته ، و رضوا بقضائه و قدره .

و هو سبحانه ذو الكمال المطلق في ذاته و وحدانيته و أسمائه و صفاته ، هو الأول و الآخر و الظاهر و الباطن المبدىء المعيد الحكم العدل عالم الغيب و الشهادة ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم . ليس كمثله شيء و هو السميع البصير .

توحيد الله و الإيمان به هو أسس الفضائل ، و لجام الرذائل ، و قوام الضمائر ، و سند العزائم ، و بلسم الصبر عند المصائب ، و عماد الرضا و القناعة بالحظوظ ، و نور الأمل في الصدور ، و سكن النفوس إذا أوحشتها الحياة ، و عزاء القلوب إذا نزل الموت أو دنت أيامه و بدت علاماته .

نعم و الله إن فيه الكفاية التي تشبع الأزمات الروحية و الفكرية التي يعاني منها الكثير من الناس ، فيه الوقاية من متاعب الحيرة و الشرود .

أما القرآن الكريم فهو دستور الأمة ، كتاب هداية جامعة للسلوك الإنساني الصحيح ، جمع كل شيء ، و ما فرط من شيء ، أوضح كل ما يقرب إلى الله ، و بين كل ما يبعد عنه . قرآن كريم و ضاف للكون ، جواب مع الأفلاك ، متحدث عن سكن الليل و سبح النهار ، فيه القصص المتتبع للأحداث ، و الراوي لأحوال الأولين و تاريخهم و مصائرهم من أجل أن يعتبر أولو الأبصار .

و نبي الإسلام محمد ﷺ صادق مصدوق لا يستطيع عاقل يحترم نفسه ينظر في سيرته ثم يزعم أنه يريد برسالته بسطة في مال ، أو منزلة من جاه ، أو حظاً من حظوظ الدنيا ، ليس في دعوته ألبتة أثارة لمجد شخصي أو تطلع لغاية دنيوية . حاشاه ثم حاشاه ، فسيرته منقولة مضبوطة في القرآن و السنة عليه الصلاة و السلام .

و السنة هي أقوال رسول الله ﷺ و أفعاله و تقريراته لأصول صحابته و عصره ، نقلت إلينا نقلاً دقيقاً مفصلاً مثبوتاً ، لا يوجد لدى أمة من الأمم مثلها . و هي الشرح و التفسير للقرآن و البسط للأحكام و التعاليم .

أما فرائض الإسلام الكبرى فالصلاة مناجاة لله ، و صلة بين العبد و ربه تنتظم بها جماعة المصلين في قلوبهم و أبدانهم ، مستوية صفوفهم ، متحدة حركاتهم ركوعاً و سجوداً و قياماً و قعوداً ، كلهم يقومون لله قانتين ، في ذكر و قرآن و دعاء و تمجيد .

و الزكاة حق في المال معلوم ، بر و إحسان ، و طهارة و تزكية ، و صورة للتعاطف و التكافل و الصيام في وقت معلوم من العام ، شهر هلالي ، يضبط الإرادة ، و يحكم الشهوة ، و مشاركة للجماعة في الاحساس و الوجدان و اتحاد في ساعات الامساك و الإفطار و مشاركة في الجوع للمجموع .

و الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام صورة لجماعة المسلمين ، يفدون من أن أنحاء الدنيا إلى عاصمة الإسلام بلد الله الحرام مكة المكرمة ، في عبادة الله ، موحدة في شعائرها و مشاعرها و لباسها و تطهرها .

أما الإنسان في الإسلام فهو مخلوق مكرم استخلفه الله في الأرض ليعمرها ، خلقه لعبادته ، و سخر له ما في السماوات و ما في الأرض . محاسب على تصرفاته كلها من خير و شر . خلق فيه الغرائز ، و جعل فيه من الملكات و المواهب ما يستعين به على العبادة الصحيحة و العمارة الصالحة ، و بعث له الرسل مبشرين و منذرين ، يخبرونه عن ربه ، و يبينون له وظيفته في الحياة و مصيره في الآخرة .

و البشر لا تفاضل بينهم ، أكرمهم عند الله أتقاهم ، و أكبر النعم عليهم نعمة الهدى ، و هم متصلون بربهم مباشرة بلا واسطة ، ليس بينهم و بينه في حاجاتهم و عباداتهم حجاب . و كلهم محفوظة دماؤهم و أعراضهم و أموالهم .

و المسلمون على اختلاف أجناسهم و اتساع ديارهم أمة واحدة يؤمنون بعقيدة واحدة و فكر واحد ، و كل من اعتقد عقيدتهم فهو منهم .

لأول مرة في تاريخ البشرية سمعت الدنيا في مجتمع عربي لم تقم الرابطة فيه إلا على أساس القبلية و الفخر بالمضرية و القرشية ، سمعوا سيد مضر و قريش سمعوه يقول لفارسي تداولته الأيدي بالاسترقاق و السخرة : " سلمان منا أهل البيت " . و خليفة خليفته عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي هابه كسرى و قيصر يقول لعبد حبشي أجحف به الضرب و الإهانة في الجاهلية : سيدنا بلال .

و الإسلام يمتدح القوة و يحبها في شتى الميادين ، و المؤمن القوي خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف و في كل خير . و لكنها قوة لا ليعيش بها ظالماً و لكن ليمنع الظلم و يبسط الأمن و ينشر الأمان . و من أجل هذا كان الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام . و ما كان ذروة إلا حين كان في سبيل الله طلباً للآخرة و ابتغاء مرضاة الله ، و ليس اغتصاباً للدنيا ، و لا سرقة للأرضيين ، و لا استعباد للناس ، و لا استبداد بالخيرات و الثروات ، حاشا و كلا : " من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله

"فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة "

و حقوق الإنسان التي يفاخر بها عالم اليوم و يحاسب الناس عليها حساباً ظالماً ما كانت غلا ترديداً مختصراً للوصايا و المبادىء الكريمة التي تلقاها المسلمون عن نبيهم و سيدهم و إمامهم النبي الخاتم محمد ﷺ " كلكم لآدم و آدم من تراب " و يضاف إليها حقوق الحيوان و الجماد لمن يبتغون المزيد .

و قاعدة الثواب و العقاب في الإسلام مربوطة بحسن القصد و حسن العمل " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " . " ليبلوكم أيكم أحسن عملا " . " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها "

إن الإنسان يؤجر عند الله بمقدار ما يقيم من حق و يهدم من باطل ، و ما يسوق من خير و يمنع من شر ، و ما يستر من عورة و يؤمن من روعة ، و ما يصون من مصالح و يدرء من مفاسد . منزلته عند ربه بمقدار ما ينافس في الخيرات و حسن المعتقد : " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون . "

و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر سياج متين تقوم به الأمة لتحفظ دينها ، و يدوم خيرها ، فتحفظ الصالح من أمورها و شؤونها و تقضي على السيء و الفاسد من أحوالها و أوضاعها .

و اليوم الآخر آت لا محالة ، و الله يبعث من في القبور ليجازي كلاً بعمله إن خيراً فخير ، و إن شراً فشر فلا بد من جزاء للمحسنين الأخيار و عقاب عادل للمجرمين الأشرار .

و بعد أيها الناس . فالإسلام عقيدة في القلب ، و عبادة لله ، و شريعة في الحكم ، و منهج للحياة شامل لكل ما تحتاج البشرية في معاملاتها و تنظم أسرها و بيوتها و فض منازعاتها و حل خلافاتها في تفاصيل دقيقة مبسوطة قريبة المنال .

هذه دعوة الإسلام و هذه مبادئه فـ " أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم

قال تعالى : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

(آل عمران ٠٨٤)

ترجمة المعاني:

Say (O Muhammad (peace be upon him)) "We believe in Allâh and in what has been sent down to us, and what was sent down to Ibrâhim (Abraham), Ismâ'il (Ishmael), Ishâque (Isaac), Ya'qûb (Jacob) and Al-Asbât (the offspring of the twelve sons of Ya'qûb (Jacob)) and what was given to Mûsâ (Moses), 'Isâ (Jesus) and the Prophets from their Lord. We make no distinction between one another among them and to Him (Allâh) we have submitted (in Islâm)."

تفسير الجلالين:

"قل" لهم يا محمد
"آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط" أولاده
"وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم" بالتصديق والتكذيب
"ونحن له مسلمون" مخلصون في العبادة ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار

"قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون * ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. "

وبعد فلا أعرف ماذا أقول في هذا الكتاب وماذا أدع !!! فكل كلمة به تحتاج إلى مدح ووقفة لايمكن الإنتهاء منها فلقد بزل فيه مؤلفه الكثير من الوقت والجهد وهذه هي عادته فلقد تعودنا من أخينا الكاتب الإسلامي السيد الصوري الإخلاص في عمله ودعوته فجزاه الله كل الخير وأترك لكم تلكم الكتاب الذي لم ترى عيني أفضل منه في موضوعه .. فأنصح بقرائته كل مسلم ومسيحي ويهودي وأترك لكم الحكم الأخير مع الرجاء بأن لاتنسوانا بدعوة في ظهر الغيب .

شريف كمال عزب

مقدمه البحث

الحمد لله وكفى .. وصلاة وسلاماً على عباده الذين اصطفى وبعد ..

فإن من نعم الله على البشر أن بعث إليهم الرسل والأنبياء ليجددوا العهد مع الله من ناحية .. ولإحسان التعامل فيما بينهم من ناحية أخرى .. بل جعل الحق سبحانه حقوق العباد على العباد من الأمور التى لا تعفى إلا أن يعفو المظلوم على ظالمة ..

ودعوة الرسل من لدن آدم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها واحدة .. لا اختلاف بينهما فى الأصول والمنطلقات التى تسيرها .. قد يكون هناك اختلاف فى الفروع بسبب اختلاف المكان الزمان هناك لكن يبقى أصل الأديان واحد ..

قال تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

(الشورى ٠١٣)

ولقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه أن جعل التدين مركوزاً فى فطرة البشر ولذلك جاءت الأديان كلها بما يتوافق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولا يتصادم مع الفطرة لا من قريب ولا من بعيد

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

(الروم ٠٣٠)

فالدين وضع إلهي غرزه الله فى صميم الفطرة البشرية لا تشد عنه نفس إنسانية ..

وإذا كان الأمر كذلك فإن الأمر يقتضي التعاون بين أصحاب الديانات لا التفرق .. فهم جميعاً متفقون فى أصل الدين .. وإن أصحاب الديانات الثلاث (اليهودية والمسيحية والإسلام) مدعوون إلى التقارب ونبذ التباغض وإحلال روح السماحة والتسامح بينهم بدلاً من سيارة هذا التعصب الأعمى الذى لا يجنى الجميع من دوائه إلا الشوك والحنضل ..

ولقد حضت الأديان جميعاً على السماحة والتسامح لا فرق بين بعضها البعض ولكننا فوجئنا بمن يؤخر نصوص السماحة ويظهر من نفسه تشدداً فى غير محله مما يجعل التفرق بل والتعصب أمراً لا مفر منه ولا بديل عنه أمام الجميع..

ونحن هنا فى هذه المقدمة - لابد أن نذكر أن مصر لها وضعها الخاص المرتبط بأبناء هذا الوطن فهو شعب مسالم تسامح .. استطاع أن يفهم ما تدعو الأديان إليه وأن يتمثله سلوكاً حياتيا يومياً سلوكاً معاشاً مستمراً بلا تفرقة بين أحد بسبب دنيه .. مما تعامل الجميع فى حياتهم اليومية دون أن يضعوا هذا الأمر فى حساباتهم كما سيتضح داخل هذا الكتاب .

منهج الكتاب وقد ألزمت نفسي أثناء الإعداد لهذا الكتاب ألا يكون الكلام على عواهنه .. ولكن يكون مؤبداً بالنصوص من داخل الكتب المقدسة (كالعهد القديم والعهد الجديد والقرآن الكريم) وذلك حتى تتضح صورة السماحة فى الأديان كاملة .

وقد قسمت الدراسة إلى عده مباحث : -

تحدثت عن السماحة والتسامح فى اليهودية . وهذا أمر يثير الاستغراب خاصة فى الظروف الراهنة والتى ترى العالم كله هذا الوجه القبيح .. والناس تحكم على ديانه الشخص من خلال سلوكه مع غيره . فليس ممكناً أن يكون الدين دين سماحة ويتحول أتباعه إلى وحوش أدميه لهذا الشكل المزرى بالإنسانية ، ومع ذلك فإن النصوص التى أثبتها تؤكد على أن السماحه والسلام عنصر أساسي فى التوراة .

ثم بعد ذلك تحدثت عن السماحة فى المسيحية . والنصوص كثيرة كلها تدل على أن السماحة ركن أساسي من أركان المسيحية بعد ذلك جاء الحديث عن السماحة والتسامح فى الإسلام فلقد جاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تجعل التسامح حياتياً للمسلم ولها ترضى عن ذلك بديلاً حتى أوقات الحروب كما حرص الإسلام وأتباعه على شيوع روح السماحة والتسامح ووقائع التاريخ تشهد على ذلك .

وقد خصصت بعض الصفحات للحديث عن السماحة فى الأديان ودورها فى التنمية الاقتصادية وأهمية الأخلاق فى الاقتصاد وكذلك أهميه التنمية الاجتماعية وخاصة فى وطننا الغالى مصر وأهمية برامج التنمية . ثم عرضت على السماحة بين الأديان وأهميتها فى الحفاظ على مكاسب التنمية الاجتماعية والاقتصادية . وأرجو أن أكون قد وفقت فى عرض ما أردت بيانه ...

فإن أحسنت فمن الله وإن كانت الأخرى فمن نفسى وما أبرئ نفسى .أسأل الله التوفيق والسدادوالله من وراء القصد

الكاتب / السيدالصورى

المبحث الأول السماحة والتسامح في اليهودية

قد يستغرب الناس حينما يقرءون أن هناك في التعاليم اليهودية ما يحض على السماحة والتسامح .

وهم معذورون في ذلك فما يقوله الواقع الفعلي يبتعد كثيراً عما تقوله النصوص التي يفترض أنها - مقدسة .. بل الأغرب من ذلك أن يتواصى في مجتمع كامل على إخفاء معالم هدية ومظاهر دنيه وراء ستائر من التعاليم البشرية التي لا تقارن - ولا توضع في أي موضع مقارنة مع هدى السماء .

قال ﷺ : " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى " وأن أكثر الأنبياء بعثاً كانوا إلى بنى إسرائيل ..

وهل يتواصى جميع الأنبياء والرسل بتنفيذ رغبات اليهود وإعطائهم ما يزيد من نصوص تتيح لهم السيطرة والتفرد .. إذا لأصبح العالم فوضى .. لا مكان فيه لهدى السماء بجانب هدى البشر .. . لكن الشيء المؤكد الذي لا خلاف عليه أن هناك نصوصاً من التوراة النصوص المقدسة تحض على السماحة والتسامح مع الآخرين .

ذلك أن الأديان كلها من منبع واحد .. وكلها تتفق على أهمية السماحة وسيادة الرحمة ومبدأ التسامح في التعامل مع الآخرين .. وما سمعنا أبدأ عن دين يحض تباعد على استخدام العنف ولا حتى الانزواء بعيداً عن الناس .. وهذا هو الأمر المؤكد .

وهناك الكثير من النصوص التي تحض على السماحة وإحسان معاملة الغير نذكر هنا بعضاً منها ...

فمثلاً : الوصايا العشر .. لموسى عليه السلام .

" ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلاً .. أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية لا يكن لك آلهة غيرى (آلهة أخرى أمامي) لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء وما تحت الماء من تحت الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن . لأننى أنا الرب إلهك إله غيور . أفتقد ذنوب الأباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضى وأصنع إحساناً إلى ألوف محبتى وحافظى وصاياى ..

* " لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلاً أذكر يوم السبت لتقدسه - ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك وأما اليوم السابع ففيه سبت إلهك .. "

*" أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك "

* " لا تقتل ... لا تزن ... لا تسرق ... لا تشهد على قريبك شهادة زور .. "

* " لا تشبه بيت قريبك "

* " لا تشبه امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثورة ولا حمارة ولا شيئاً مما لقريبك "

(وقد ورد في بعض النسخ بدلاً من " قريبك " جارك[1]))

---

[1] جاء هذا النص بتمامه فى سفر الخروج ٢ — ١ — ١٧ وجاءت نفس الوصايا بنصها فى الإصحاح الخامس من سفر

وإذا كانت هذه الوصايا تعطينا صو رة صادقة لما يجب أن يكون عليه المجتمع اليهودي الذي يؤمن وربه وبين العبد وأخيه على الأرض .. وأول شرائط السماحة هو حسن التعامل مع الغير

وجاء أيضاً في سفر أشعياء ..

" أعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابئ لكى تعرف أنى أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل أنا الرب وليس آخر .. لا إله سواى نطّقتك وأنت لم تعرفنى .. "

" لكى يعلموا من مشرق الشمس ومن مغربها ان ليس غيرى .

" أنا الرب وليس آخر . مصور النور وخالق الظلمة وصانع السلام [٢].. "

وجاء في سفر ميخا : -

" قد اخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب .. "

" ألا أن تصنع الحق وتحت الرحمة وتسلك متواضعاً مع أهلك [٣] .. "

أنها سماحة الأديان جميعاً .. صناعة السلام . وإذا كان الله هو صانع السلام فإنه يطلب من الإنسان أن يكون سيرة وفق وصايا الله إليه ووفق مطالبة منه .

وفى النص الثانى ما يطلبه الله من عبادة الإنسان ماذا يطلب منه غير أن يكون له قلب يشعر وعقل يفهم .. محبة الرحمة وصناعة الحق والتواضع . والتسامح مع الغير وهل هناك تواضع بدون سماحة .

ونحتم هذه النصوص بنص من مزامير داود عليه السلام فقد جاء فيها : -

" باركى يا نفسى الرب .. وكل ما في باطنى ، ليبارك اسمه القدوس ، باركى يا نفسى الرب ولا تنسى كل حسناته الذي يغفر جميع ذنوبك . الذي يشفى كل أمراضك الذي يغذى من الحفرة عمرك الذي يكلك بالرحمة والرأفة الذي يشبع بالخير عمرك . فيتجدد مثل النسر شبابك الرب مجرى العدل والقضاء لجميع المظلومين عرف موسى طرقه .. وبنى إسرائيل أفعاله ، الرب في السموات ثبت كرسيه ، ومملكته على الكل تسود [٤] .. وإذا كان الأنبياء جميعاً يسيرون على طريق العدل والرحمة والتراحم .. وليس أنبياء بنى إسرائيل بدعاً من جميع الأنبياء لقد ساروا على الطريق .. طريق السماحة والتواضع في التعامل مع الآخرين ..

بقى أن نقول إن الدعوة إلى الأديان لا تكون أبداً بالعنف بل بالرحمة والسماحة والتسامح .

اليهودية والتسامح: -

إن أصول الدين واحدة ... تتفق كلها فيما تدعو إليه من إقامة علاقات حسنة مع الجميع .. وعلى الرغم مما نشاهده الآن من الممارسات اليهودية المتشددة إلا أن أصل الدين يدعو إلا خلاف ذلك تماماً ..

---

[٢] سفر اشعياء الاصحاح ٤٥ : ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧

[٣] سفر ميخا ٦ : ٨

[٤] هذه النصوص وغيرها تراجع إلى – محمود أبو ريه – دين الله واحد – مكتبه الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١٩٩٤ صـ ٤١ ، صـ ٤٥

وإذا كنا نقول أن الإسلام يدعو إلى التسامح .. فكذلك تدعو اليهودية والمسيحية إليه .. ذلك أن دين الله واحد في الأولين والآخرين لا يختلف إلا في صورة ومظاهره وأما روحه وحقيقته وهو ما طولب به العاملون أجمعون على ألسن جميع الأنبياء والمرسلين فلا يتغير .. وهو إيمان بالله الواحد الأحد وإخلاص له في العبادة وأن يتعاون الناس في معاشهم على البر والتقوى .. والمودة والإخاء . وقد جاءت الكثير من الإشارات حول التسامح وأهميته لكنها نتف صغيرة بجانب الكثير مما تطفح به الكتب اليهودية من قتل لهذه الروح ..

فقد جاء في سفر أشعياء (الإصحاح ٤٥ .. الآيات ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧) ما يلى : -

" لكى تعرف أنى أنا الرب الذي يدعوك باسمك إله إسرائيل . أنا الرب وليس أخر لا إله سواى نطقتك وأنت لم تعرفنى ، لكى يعلموا من مشرف الشمس ومن مغربها أن ليس غيرى ، أنا الرب وليس أخر مصور النور وخالق الظلمة وصانع السلام [٢] وهل يكون تسامح بين البشر إلا ويعقبه السلام ؟ وهل يكون سلام بدون تسامح ؟

وجاء في ميخا ٦ : ٨

" قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح وماذا يطلبة منك الرب إلهك .. إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع إلهك .

وحب الرحمة هنا لا يأتى إلا بالتسامح مع المخالفين ومع الذين نتعامل معهم في الحياة اليومية المستمرة .والشيء الذي لا خلاف عليه أن هناك الكثير من الإشارات حول التسامح وأهميته في الديانة المسيحية واليهودية – وإذا كان الحديث هنا عن اليهودية فقط – فإنه أمر مستغرب خاصة في الظروف الراهنة .. لكنه الدين الذي جاء من الله سبحانه والذى لا يختلف في أصوله عن جميع الأديان السماوية المنزلة من الله سبحانه وتعالى ..

فالأخلاق في أصولها لا تختلف بين الأديان السماوية بعضها وبعض فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والإحسان والتسامح والمحبة والعفاف والشجاعة والسخاء والتعاون على الخير [٣].

---

(٢) محمود أبو ريه .. دين الله واحد .. مكتبة الأسرة ١٩٩٤م ص٤٤

(٣) د / يوسف القرضاوى – دراسة بعنوان تطبيق الشريعة وحقوق الأقليات منشورة بمجلة الدوحة القطرية العددين ١٩ ، ٢٠ نوفمبر ديسمبر ١٩٨٥م ص١٧

المبحث الثانى: السماحة والتسامح في المسيحية

إذا كانت النصوص التي تدعو إلى السماحة في اليهودية بسيطة وقليلة ... فإننا نجد العكس في النصوص المقدسة في الديانة المسيحية . فإنها بتعاليمها ونصوصها دعوة كاملة للمحبة ... وسيادة روح السماح والتسامح ..

لقد جاء عيسى -ﷺ- على طريق (خوانة من الرسل . وجاء بشريعة تتفق مع شريعة موسى -ﷺ- ولا تقضها - لأن الأصل واحد - كما سبقت الإشارة - وفى الأناجيل المتفق عليها الكثير والكثير من نصوص السماحة والتسامح ..

ففي إنجيل مرقص .. نسمع إلى هذا الحوار بين عيسى عليه السلام واحد اليهود ..

" فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون .فلما رأى أنه أجابهم حسناً سأله :-

أية وصية هي أول الكل ..؟

فأجابه به يسوع : إن أول كل الوصايا هي : أسمع يا إسرائيل . الرب رب واحد ونحب الرب ألهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى

وثانية مثلها هي :- تحب قريبك كنفسك ..

ليس وصية اعظم من هاتين ..

فقال له الكاتب .. حسن يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه ، ومحبته من كل القلب ومن كل الفهم ومن كل النفس ومن كل القدرة . ومحبة القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح .. القريب كالنفس هي أفضل من جميع المحرقات والذبائح فلما رأى يسوع أنه أجاب بعقل قال له .. لست بعيداً عن ملكوت الله ..؟فالمسيحية دين المحبة .. لأن الله محبة . والطريق إلى معرفة الله وعبادته والثبات فيه هو طريق المحبة . ولا يستطيع الإنسان أن يجب الله إلا إذا أحب أخاه في الإنسانية أولاً .. إذا لا تكتمل ديانة المسيحي بغير المحبة لأن هي تكميل الناموس "

والمسيحية بذلك تضع مسئولية كبرى على عاتق المنتمين إليها لأن المحبة التي هي جماع الفضائل كلها - يجب أن تشتمل الناس كافة حتى الأشرار والأعداء ..

كما أن محبة الناس كافة لا تكون " بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق "

وإذا كان ارتكاز المسيحية على المحبة . فإن أهم ثمار هذه المحبة هي التسامح والسماحة والسعى الفاضل في الحياه . حتى لطلب أن يكون السماحة أمراً طبيعياً في الحياه حتى ليطلب أن تكون السماحة أمراً طبيعياً في تركيب الإنسان ومن خلال التعاملات المختلفة .

ولدينا في هذا المقام موعظة من أجمل مواعظ المسيح عيسى ابن مريم - عليه السلام .. نقتطف منها هذه الدعوة إلى السماحة والتسامح مع الجميع ..

" سمعتم أنه قيل : عين بعين وسن بسن . أما أنا فأقول لكم :

لا تقاوموا الشر بالشر . بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضاً .

ومن أراد أن يخاصمك وأخذ ثوبك فاترك له رذائل أيضاً .

ومن سخر ميلاً واحد فاذهب معه أثنين ، ومن أرد أن يقترض منك فلا ترده .

أقول لكم : - .... أحبو أعدائكم وأحسنوا إلى مبغضكم . وصلوا لأجل الذين يسيئون . إليكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات فإنه تشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والصالحين والظالمين لأنكم إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم ؟

أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك .. ؟

فكونوا انتم كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل ..

لا تدينوا لكى لا تدانوا .. وبالكيل الذي به تكيلون يكال لكم . ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك . وأما الخشية التي في عينك فلا تفطن لها .. " كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم .. افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم .. لأن هذا هو الناموس . فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم زلاتكم " وهكذا ...تضع المسيحية أسس التعامل السليم مع الآخرين إلا وهو أساس المحبة والسماحة ولعل هذا هو الأسر وراء انتشار المسيحية السريع في أول الأمر . فلما تغيرت الأمور وانقلبت الآية بدأ التراجع .[(١)]

المسيحية والتسامح : -

جاء عيسى عليه السلام يمشى على طريق إخوانه من الرسل الكرام يدعو الناس إلى عبادة الله وحده وليكمل ما نقص من الديانة التي جاءت قبله على لسان موسى عليه السلام - كما هي سنة الرسل أجمعين ، اللاحق يكمل شريعة السابق .. وإن الفهم الصحيح لأى ديانة ينبغى أن يكون من داخلها وبمنطقها وما أفهمه من الديانة المسيحية هو أن أساسها الذي تبنى عليه جميع مبادئها وتعاليمها يتركز في عبارة " الله محبة " [(٤)] ولذلك جاء في الكتاب المقدس " ومن لا يحب لا يعرف الله لأن الله محبه " ....(يوحنا ٤ : ١٦)

وهذه المحبة تنسحب على جميع البشر .

فالله محبة والإنسان خلق على صورة الله ومثالة إذن ينبغى أن يكون الإنسان أيضاً محبة ولذلك - ففى العقيدة المسيحية لا يمكن للإنسان أن يعرف الله وبالتالى لا يمكنه عبادته - إلا إذا أحب الله وأحب أخاه في الإنسانية الذي هو مخلوق على صورته الله ومثاله .. والمحبة في الديانة المسيحية هي جماع الفضائل كلها .. فعندما سئل السيد المسيح عن أية وصية هي العظمى في الناموس قال " تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك .. هذه هي الوصية الأولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك (أي أخاك في الإنسانية) كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس والأنبياء "................. (متى ٢ ، ٣٥ : ٤٠)

---

(١) ينظر فى ذلك إلى : أ – د / إدوار غالى الذهبى – النموذج المصـرى للوحدة الوطنية – مكتبة الأسـرة القاهرة ١٩٩٨م ص ٣٩ ، ص ٥٦ . ب – الشيخ / محمد الغزالى – التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام ذار النشر والتوزيع الإسلامية – القاهر ط الثانية ١٩٩٣م ص ٥٧ وما بعدها .

(٤) د / وليم سليمان قلادة – المسيحية والإسلام على أرض مصر كتاب الحرية (التاسع) ط الأولى فبراير ١٩٨٦ القاهرة ص ٢٦

فتعاليم المسيحية كلها تؤكد أن المحبة يجب أن تشمل الناس كافة حتى الأشرار والأعداء .. فقد قال السيد المسيح في عظته على الجبل " أحبو أعداءكم باركو لأعينكم .. أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم .. لكى تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماوات فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين .. لأنه إذا أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك وإن سلمتم على أخوتكم فقط فأى فضل تصنعون . أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا . "
(إنجيل متى ٥ : ٤٤ – ٤٧)
وقال أيضاً : " كما تريدون أن يفعل الناس بكم أفعلوا أنتم أيضاً بهم وهكذا .. "
(إنجيل لوقا ٦ : ٣١)
ويعتبر التسامح أهم ثمار المحبة .. ولهذا جاءت الوصية من السيد المسيح عليه السلام :
" .. لا تقاموا الشر .. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الأخر أيضاً .. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فأترك له الرداء أيضاً .. ومن سخرك ميلاً واحداً فأذهب معه أثنين .. ومن سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده " (متى ٥ : ٣٩ – ٤٢)

ويلاحظ أن السيد المسيح لم يكن يقصد المعنى الحرفى لهذه الأمثلة التي ضربها وإنما كان يقصد التسامح والصفح والدليل على ذلك أن المسيح نفسه قد تعرض لحادث لطمه على حده أثناء محاكمته أمام رئيس كهنة اليهود إذا جاء – بإنجيل يوحنا " لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً أهكذا تجاوب رئيس الكهنة . أجابه يسوع .. إن كنت قد تكلمت روياً فاشهد على الردى وإن حسناً فلماذا تضربني " وواضح أن السيد المسيح لم يحول للخادم خده الآخر وإنما قال له لماذا تضربني [1] وفى النصوص المسيحي الكثير من الوصايا بالتسامح نذكر هنا أمثلة منها فقط ..

فقد جاء في انجيل متى ..
" وأضاف السيد المسيح قوله للجموع .. " فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم .. "
(إنجيل متى ٦ : ١٤ – ١٥)
.. " وتقدم القديس بطرس إلى السيد المسيح وسأله قائلاً " كم مرة يخطئ إليّ أخى وأنا أغفر له .. هل إلى سبع مرات .. قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات ..."
(متى ١٨ : ٢١ - ٢٢)

[1] د / أدوار غالى الذهبى – النموذج المصرى للوحدة الوطنية – مكتبة الأسرة ١٩٩٨ القاهرة ص ٥٢

وجاء بالكتاب المقدس : -

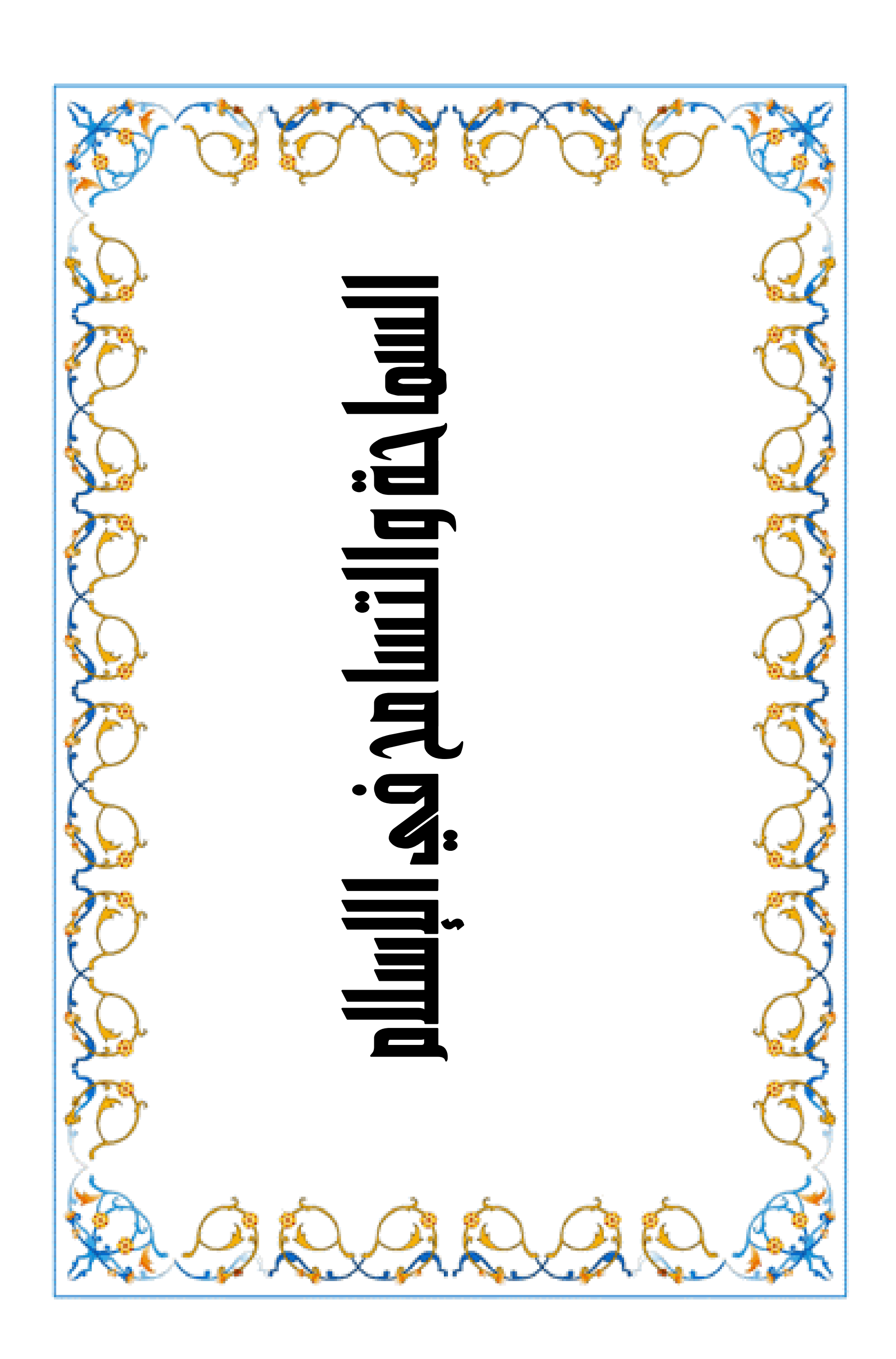
" من لا يحب أخاه يبق في الموت كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية .. " (يوحنا ٣ : ١٤ - ١٥)

وواضح مما سبق أن المسيحية تضع مسئولية كبرى على كاهل المنتمين إليها . فلا يعد الشخص مسيحياً حقاً إلا إذا امتلأ قلبه بمحبة الله ومحبة الله ومحبة جميع الناس حتى الأشرار والأعداء [٢]

ونلخص مما سبق إلى أن المسيحية هي دين المحبة والمحبة هي طريق التسامح لأن الله محبة والطريق إلى الله ومعرفته وعبادته والثبات فيه هو طريق المحبة .. ولا يستطيع الإنسان أن يحب الله إلا إذا أحب أخاه في الإنسانية أولاً إذا لا تكتمل ديانة المسيحى بغير المحبة لأن المحبة هي تكميل الناموس .

والمسيحية تضع مسئولية كبرى على عاتق المنتمين إليها .. لأن محبة الناس كافة لا تكون بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق .. "

(٢) د / أدوار الذهبى – النموذج المصرى – مرجع سابق ص ٥٢


السماحة والتسامح في الإسلام

المبحث الثالث

((السماحة والتسامح في الإسلام))

جاء الإسلام ليخاطب الإدراك البشرى والتسامح بكل قواه وطاقاته يخاطب العقل والفكر والبداهة الناطقة ويخاطب الوجدان والفطرة السليمة والكيان البشرى ..

جاء الإسلام يخاطب العقل بدون إكراه ولا تعقيد فجعل قضية اقتناع بعد البيان .. " أي قضية العقيدة " وليست قضية إجبار وغضب وإكراه .. فلا مجال لاعتناق هذا الدين الكريم تحت تأثير التهديد أو مزاولة الضغط القاهر والإكراه بلا بيان ولا إقناع ولا اقتناع .

ولهذا أعلى الإسلام هذا المبدأ العظيم في قول الحق تبارك وتعالى : -

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾

(البقرة ٢٥٦)

<u>شرح غريب الألفاظ:</u>

﴿ إِكۡرَاهَ ﴾

قهر وإرغام

﴿ تَّبَيَّنَ ﴾

تميز

﴿ ٱلرُّشۡدُ ﴾

الحق والصواب

﴿ ٱلۡغَيِّ ﴾

الباطل

﴿ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾

بالشيطان وكل ما يعبد من دون الله

﴿ بِٱلۡعُرۡوَةِ ﴾

بالعقيدة

﴿ ٱلۡوُثۡقَىٰ ﴾

المتينة

﴿ ٱنفِصَامَ ﴾

انقطاع

<u>الترجمة للنص بالإنجليزية :</u>

There is no compulsion in religion. Verily, the Right Path has become distinct from the wrong path. Whoever disbelieves in Tâghût and believes in Allâh, then he has grasped the most trustworthy handhold that will never break. And Allâh is All-Hearer, All-Knower.

التفسير :

"لا إكراه في الدين" على الدخول فيه

"قد تبين الرشد من الغي" أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام

"فمن يكفر بالطاغوت" الشيطان أو الأصنام وهو يطلق على المفرد والجمع

"ويؤمن بالله فقد استمسك" تمسك

"بالعروة الوثقى" بالعقد المحكم

"لا انفصام" انقطاع

"لها والله سميع" لما يقال

"عليم" بما يفعل

وهذا المبدأ يترجم تكريم الله للإنسان واحترام إرادته وفكرة ومشاعره وترك أمره لنفسه ..

ولقد رسم الإسلام الطريقة المثلى للانتشار السلمى والدعوة إليه والتى تتمثل في كسب الثقة وإزالة الحواجز بين المسلمين وغيرهم حتى يتعرفوا على هذا الدين من قريب ويلمسوا معاملة المسلمين لغيرهم بلا تكلف أو بهرجة .

وقد تكون ذلك أقرب السبل وأقصرها وأيسرها إلى الهداية ..

وهناك من النصوص القرآنية الكثير والكثير ولكننا سنتوقف هنا عند نص من هذه النصوص .

قال تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾

(الممتحنة ٠٠٨)

شرح غريب الألفاظ:

﴿ تَبَرُّوهُمْ ﴾

تحسنوا إليهم وتكرموهم

﴿ وَتُقْسِطُوٓاْ ﴾

تعدلوا

﴿ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾

العادلين

<u>ترجمة المعاني:</u>

Allâh does not forbid you to deal justly and kindly with those who fought not against you on account of religion and did not drive you out of your homes. Verily, Allâh loves those who deal with equity.

والكلام الجامع في التفسير :-
"لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم" من الكفار
"في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم" بدل اشتمال من الذين
"وتقسطوا" تقضوا
"إليهم" بالقسط أي بالعدل وهذا قبل الأمر بجهادهم
"إن الله يحب المقسطين" العادلين

فإن الله تعالى يعنى بذلك المخالفين لنا في الدين من جميع أصناف الملل والأديان أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا إليهم أي أن الله عز وجل عم بذلك جميع من كان ذلك صنفته ولم يخص بعضنا دون بعض لأن بر المؤمن بمن بينه ودينه قرابة نسب أو ممن لا قرابة بينة وبينه ولا نسب وغير محرم ولا منهى عنه إذا لم يكن دلالة لأهل الحرب على عورة الإسلام أو تقوية لهم بكراع أو سلاح .

وبين صحة ذلك ما روى عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال نزلت في أسماء بنت أبى بكر ﵄ا وكانت لها أم في الجاهلية يقال لها قتيلة بينت عبد العزى فأتتها بهدايا . فقالت لا أقبل لك هدية ولا تدخلي على حتى يأذن رسول الله ﷺ . فذكرت ذلك عائشة لرسول الله ﷺ . فأنزل الله (لا بنهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) .. الآية [1]

وأمر الله رسوله ﷺ أن يقيم دعوته على قواعد الحكمة والموعظة الحسنة وألا يجادل إلا بالتى هي أحسن .. قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾

(النحل ١٢٥)

---

(١) الامام محمد بن جرير الطبرى .. جامع البيان فى تفسير القرآن . جـ ٢٨ صـ٤٣ ط- المطبعة الأميرية — بولاق القاهرة .. ط الأول . ١٣٢٨ هـ

ترجمة المعاني:

Invite (mankind, O Muhammad (peace be upon him)) to the Way of your Lord (i.e. Islâm) with wisdom (i.e. with the Divine Revelation and the Qur'ân) and fair preaching, and argue with them in a way that is better. Truly, your Lord knows best who has gone astray from His Path, and He is the Best Aware of those who are guided.

تفسير الجلالين:

"ادع" الناس يا محمد

"إلى سبيل ربك" دينه

"بالحكمة" بالقرآن

"والموعظة الحسنة" مواعظه أو القول الرقيق

"وجادلهم بالتي" أي بالمجادلة التي

"هي أحسن" كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه

"إن ربك هو أعلم" أي عالم

"بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين" فيجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال ونزل لما قتل حمزة ومثل به فقال صلى الله عليه وسلم وقد رآه: لأمثلن بسبعين منهم مكانك:

وقد أمره الله تبارك وتعالى بذلك في نشر دعوته لكى يدع للناس الحرية التامة أن يأخذوا بدعوته أو يدعوها فلا إكراه على اعتناق الدين . وما في القلوب لا تغيره أبداً كل وسائل الإكراه فلا يبنى الإيمان إلا على الاطمئنان ..

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾

(يونس ١٠٨)

شرح غريب الألفاظ:

﴿ بِوَكِيلٍ ﴾

أي :ما أنا بموكلٍ بإيمانكم أو حفيظ عليكم من العذاب

ترجمة المعاني:

Say: "O you mankind! Now truth (i.e. the Qur'ân and Prophet Muhammad (peace be upon him)) has come to you from your Lord. So whosoever receives guidance, he does so for the good of his own self, and whosoever goes astray, he does so to his own loss, and I am not (set) over you as a Wakîl (disposer of affairs to oblige you for guidance)."

تفسير الجلالين:

"قل يا أيها الناس" أي أهل مكة
"قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه" لأن ثواب اهتدائه له
"ومن ضل فإنما يضل عليها" لأن وبال ضلاله عليها
"وما أنا عليكم بوكيل" فأجبركم على الهدى
والنصوص في هذا الباب كثيرة وكلها تحض على السماحة - والتسامح في التعامل مع غير المسلمين .

ولقد حرص الرسول الكريم ﷺ على أن يكفل الأمن لأهل الكتاب داخل المجتمع الإسلامي . فمن ذلك قوله ﷺ " من آذى ذمياً فأنا خصمه ومنت كنت خصمته يوم القيامة " (٢)

وقال ﷺ " من قتل معاهداً - من له عهد مع المسلمين - لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاماً " (٣)

وقال ﷺ " سيكون قوم لهم عهد فمن قتل رجلاً منهم لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة تسعين عاماً " (٤)

---

(٢) الحديث : أخرجه البخارى فى صحيحة

(٣) أخرجة النسائى فى سنة (بشرح الحافظ السيوطى)

(٤) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

وقال ﷺ "من أمن رجلاً على دمه فقتله فأنا برئ من القاتل وأن كان المقتول كافراً" [٥]
عنها قيد أنملة .. وغدا هذا الأمر في ضمير خلفاء الأمة وحكامها وشعوبها وحياتها ترجمة عملية وواقعاً حياً للحديث النبوى الشريف الذي يثق فيه النبى ﷺ العروة بين الإيمان الحق والعلاقات الإنسانية الصادقة حيث يقول ﷺ " لن تؤمنوا حتى تراحموا .

قال : يا رسول الله كلنا رحيم

قال : أنه ليس برحمة أحدكم بصاحبة .. ولكنها رحمة العامة " [٦]

مثل من نشر الدعوة إلى الإسلام .. وليس هنالك ما يدلل على صحة ما سبق أن قدمنا من هذا النص النبوى الجميل الذي يبرهن على أهمية الدعوة بالحكمة والحسنى ومجادلة أهل الكتاب ودعوتهم ..

عن معاذ رضي الله عنه قال : " بعثنى رسول الله ﷺ فقال :-

" إنك تأتى قوماً من أهل الكتاب ، فأدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فإن أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد أفترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة . فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد أفترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنياهم فترد على فقرائهم .. فإن هم أطاعوك لذلك .. فإياك وكرائم أموالهم وأتق دعوة المظلوم فأنه ليس بينها وبين الله حجاب [٧]ليس هذا فقط .... بل هناك أكثر ..

فقد كتب عمر بن الخطاب إلى عامل جيش كان قد بعثه ((أنه بلغنى أن رجال منكم يطلبون العلج - الكافر العجمي - حتى إذا أشتد في الجبل وامتنع قال رجل مترس : لا تخف فإذا أدركه قتله .. وأنى والذى نفسى بيده لا أعلم مكان أحد فعل ذلك إلا ضربت عنقه [٨]

وهل هناك سماحة وعدالة وتسامح أكثر من هذا ؟ أظن أن الأمر لا يحتاج إلى تعليق .

---

(٥) أخرجة البخارى

(٦) أخرجه الطبرانى – ورواته رواه الصحيح .

(٧) محمد عطيه الإبراش : عظمة الإسلام ص٢٨١ – مكتبة الأسرة – الهيئة العامة للكتاب – ٢٠٠٢ – القاهرة.

(٨) وزارة الأوقاف – رسالة – سماحة الإسلام وحقوق غير المسلمين ص٥١ مطبعة وزارة الأوقاف القاهرة ١٩٩٤م وأيضاً يراجع فى ذلك – د / يوسف القرضاوى – الحلال والحرام ص ٢٩ وما بعدها الطبعة الثانية والعشرون – مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٧م .

<u>الإسلام والتسامح: -</u>

رفع الإسلام منذ ظهور علم التسامح وجاءت في ذلك آيات القران الكريم التي وضعت الأساس لهذا الخلق السامى .

قال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ ﴾

(الشورى ٠٤٠)

<u>ترجمة المعاني:</u>

The recompense for an evil is an evil like thereof; but whoever forgives and makes reconciliation, his reward is with Allâh. Verily, He likes not the Zâlimûn (oppressors, polytheists, and wrong-doers).

<u>تفسير الجلالين:</u>

"وجزاء سيئة سيئة مثلها" سميت الثانية سيئة لمشابهتها للأولى في الصورة وهذا ظاهر فيما يقتص فيه من الجراحات قال بعضهم: وإذا قال له أخزاك الله فيجيبه: أخزاك الله

"فمن عفا" عن ظالمه

"وأصلح" الود بينه وبين المعفو عنه

"فأجره على الله" أي إن الله يأجره لا محالة

"إنه لا يحب الظالمين" أي البادئين بالظلم فيترتب عليهم عقابه

قال تعالى : ﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٢٢ ﴾

(النور ٠٢٢)

<u>ترجمة المعاني:</u>

And let not those among you who are blessed with graces and wealth swear not to give (any sort of help) to their kinsmen, Al-Masâkîn (the poor), and those who left their homes for Allâh's Cause. Let them pardon and forgive. Do you not love that Allâh should forgive you? And Allâh is Oft-Forgiving, Most Merciful.

<u>تفسير الجلالين:</u>

"ولا يأتل يحلف

"أولوا الفضل" أصحاب الغنى

"منكم والسعة أن" لا

"يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله" نزلت في أبي بكر حلف أن لا ينفق على مسطح وهو ابن خالته مسكين مهاجر بدري لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك

"وليعفوا وليصفحوا" عنهم في ذلك

"ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم" للمؤمنين قال أبو بكر: بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾

(آل عمران ١٥٩)

﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ ﴾

And by the Mercy of Allâh, you dealt with them gently. And had you been severe and harsh-hearted, they would have broken away from about you; so pass over (their faults), and ask (Allâh's) Forgiveness for them; and consult them in the affairs. Then when you have taken a decision, put your trust in Allâh, certainly, Allâh loves those who put their trust (in Him).

تفسير الجلالين:

"فبما رحمة من الله لنت" يا محمد

"لهم" أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك

"ولو كنت فظا" سيئ الخلق

"غليظ القلب" جافيا فأغلظت لهم

"لانفضوا" تفرقوا

"من حولك فاعف" تجاوز

"عنهم" ما أتوه

"واستغفر لهم" ذنوبهم حتى أغفر لهم

"وشاورهم" استخرج آراءهم

"في الأمر" أي شأنك من الحرب وغيره تطييبا لقلوبهم وليستن بك وكان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة لهم

"فإذا عزمت" على إمضاء ما تريد بعد المشاورة

"فتوكل على الله" ثق به لا بالمشاورة

"إن الله يحب المتوكلين" عليه

ويوصى القرآن المسلمين أن يحسنوا معاملة غير المسلمين وأن يكونوا معهم بررة وأن يكونوا عدولاً في التعامل معهم قال الله تعالى " لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين .. " سورة الممتحنة الآية ٨

فالإسلام دين سلام وعقيدة حب وإن لم يعيشوا في دار الإسلام ..

والثانى : اسم ((أهل الذمة)) إيماء بأن لهم ذمه الله وذمة رسوله (أي عهد الله وعهد رسوله ألا يؤذوا ولا تهدر حقوقهم أو تخدش حرماتهم . وهذا الاسم خاص بالذين يعيشون في ظل سلطان الإسلام ..

وجاءت أحاديث النبي ﷺ تحذر من المساس بحقوق أهل الذمة ....

فقد قال ﷺ" من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً " والمعاهد شمل من له عهد مؤقت بأمان ونحوه وهو المستأمن ومن له عهد مؤبد وهو الذي عهده أوثق وأوكد وهو الذمى ..

وقال رسول الله ﷺ ((من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفة فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حجيجه يوم القيامة)) [1]

والمتأمل في آيات القرآن الكريم يجد الكثير والكثير من الآيات - إضافة لما قدمنا في بداية المبحث ومنها على سبيل المثال :-

قال تعالى : ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

(الغاشية ٠٢٢)

<u>ترجمة المعاني:</u>

You are not a dictator over them -

وقال تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

(يونس ٠٩٩)

<u>ترجمة المعاني:</u>

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾

And had your Lord willed, those on earth would have believed, all of them together. So, will you (O Muhammad (peace be upon him)) then compel mankind, until they become believers.

وقال تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾

(البقرة ٢٥٦)

---

[1] د / يوسف القرضاوى – تطبيق الشريعة – مرجع سابق – الدوحة ص ١٩

ترجمة المعاني:

There is no compulsion in religion. Verily, the Right Path has become distinct from the wrong path. Whoever disbelieves in Tâghût and believes in Allâh, then he has grasped the most trustworthy handhold that will never break. And Allâh is All-Hearer, All-Knower.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾ ﴾

(الإسراء ٠٥٤)

ترجمة المعاني:

Your Lord knows you best, if He wills, He will have mercy on you, or if He wills, He will punish you. And We have not sent you (O Muhammad (peace be upon him)) as a guardian over them.

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾

(آل عمران ٠٦٤)

ترجمة المعاني:

Say (O Muhammad (peace be upon him)) "O people of the Scripture (Jews and Christians): Come to a word that is just between us and you, that we worship none but Allâh (Alone), and that we associate no partners with Him, and that none of us shall take others as lords besides Allâh. Then, if they turn away, say: "Bear witness that we are Muslims."

وأمر الله نبيه ﷺ أن يجير المشرك إذا لجأ إليه واحتمى به . وهذه سماحة ما بعدها سماحة ..

قال تعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ ﴾

(التوبة ٠٠٦)

ترجمة المعاني:

And if anyone of the Mushrikûn (polytheists, idolaters, pagans, disbelievers in the Oneness of Allâh) seeks your protection then grant him protection so that he may hear the Word of Allâh (the Qur'ân), and then escort him to where he can be secure, that is because they are men who know not.

تفسير الجلالين:

"وإن أحد من المشركين" مرفوع بفعل يفسره
"استجارك" استأمنك من القتل
"فأجره" أمنه
"حتى يسمع كلام الله" القرآن
"ثم أبلغه مأمنه" وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره
"ذلك" المذكور
"بأنهم قوم لا يعلمون" دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا

وأمر الله المسلمين بأن يفوا بعهودهم لمن عاهدوهم سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين ..

قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾

(النحل ٠٩١)

ترجمة المعاني:

And fulfill the Covenant of Allâh (Bai'ah: pledge for Islâm) when you have covenanted, and break not the oaths after you have confirmed them - and indeed you have appointed Allâh your surety. Verily! Allâh knows what you do.

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾

(التوبة ٠٠٤)

ترجمة المعاني:

Except those of the Mushrikûn (See V.2:105) with whom you have a treaty, and who have not subsequently failed you in aught, nor have supported anyone against you. So fulfill their treaty to them for the end of their term. Surely Allâh loves Al-Mattaqûn (the pious - See V.2:2).

تفسير الجلالين:

"إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا" من شروط العهد
"ولم يظاهروا" يعاونوا
"عليكم أحدا" من الكفار
"فأتموا إليهم عهدهم إلى" انقضاء
"مدتهم" التي عاهدتم عليها
"إن الله يحب المتقين" بإتمام العهود

وهكذا نجد الإسلام قد حفل بالدعوة إلى التسامح منذ بزغ فجره ولم تكن هذه الدعوة مجرد كلام فقط . بل كانت دعوة عملية لم يشهد التاريخ كله فاتحين يتركوا أهل البلاد المغلوبين أحراراً فيما يدينون ويعتقدون وأحراراً فيما يأخذون وفيما يتركون دون إجبار أو إكراه [٢]

ولقد كان تاريخ المسلمين في معاملة غير المسلمين صحائف رائعة من التسامح الفذ المنقطع النظير بين المؤمنين وغيرهم مما جعل أهل الأديان الأخرى ترحب بالحكم الإسلامى منقذاً لها تعصب حكمها الذين كانوا في بعض الأحيان على دينها ..

يقول جيروم وجان تارو :-

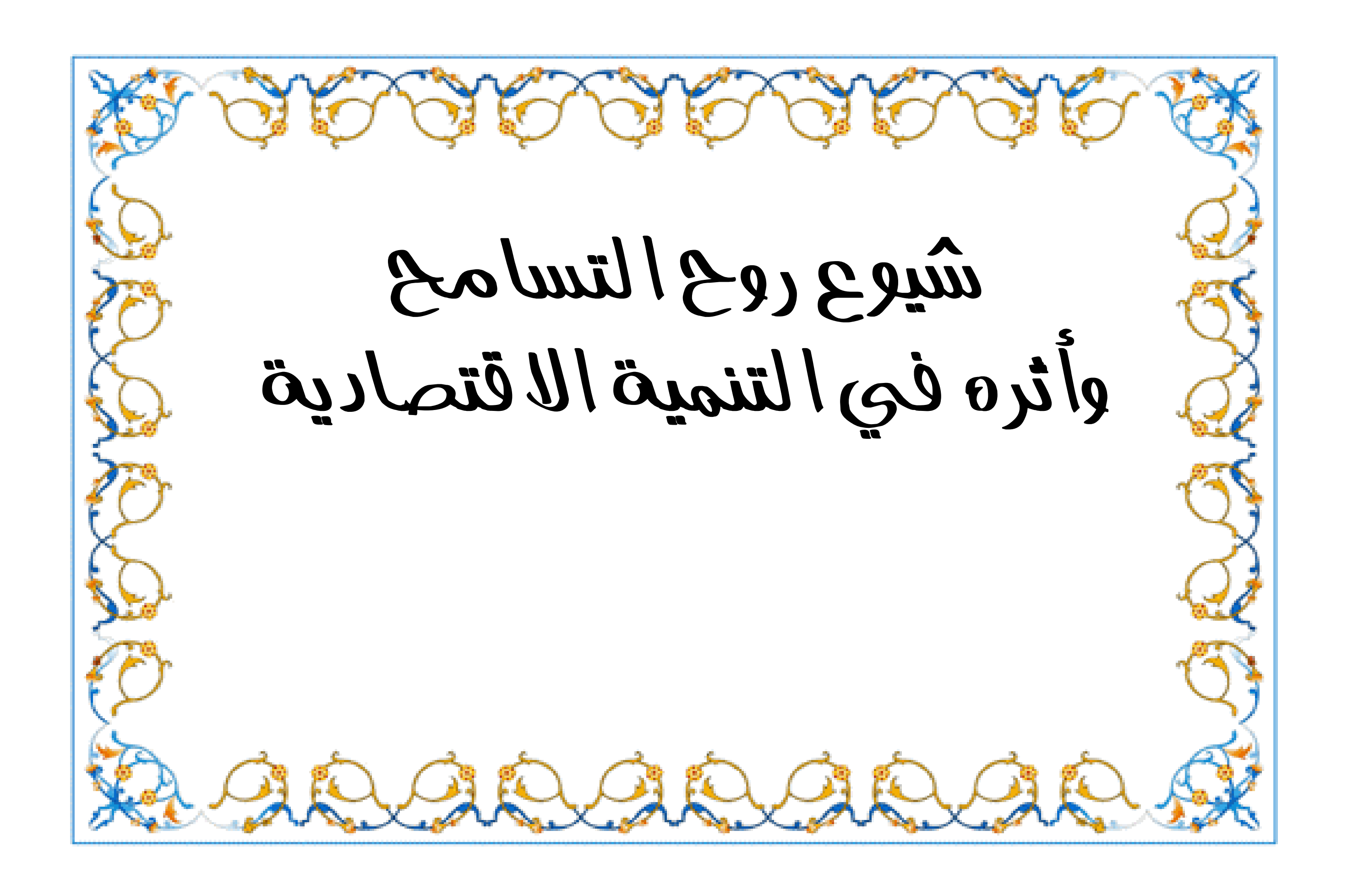
أن فضيلة التسامح التي كانت أزهى سمات العرب .. أزهى السمات الخليفة في العرب التي ندر أن تتوافر لغيرهم في جميع الأزمان . هذه السجية الكريمة قد أفادت العرب كثيراً . ولم يكن يفيدهم ذكاؤهم الفطرى وذوقهم الفنى ونزعاتهم لو لم يتميزوا بفضيلة التسامح .[٣]

وليس المجال هنا مجال أطناب ولكن تكفينا هذه النصوص لتكون شواهد على السماحة والتسامح ..

---

(٢) د / أحمد محمد الحوفى – سماحة الإسلام – دار النهضة مصر – ط ٣ – ١٩٩٨م – القاهرة – ص ٥٤ وما بعدها .

(٣) د / يوسف القرضاوى – تطبيق الشريعة الإسلامية – سابق ص٨


شيوع روح التسامح
وأثره في التنمية الاقتصادية

المبحث الرابع
شيوع روح التسامح
وأثره في التنمية الاقتصادية

من المتفق عليه أن التنمية الاقتصادية لا تستمر ولا تؤتى ثمارها إلا في بيئة متماسكة اجتماعياً ومستقرة أمنياً . وهذا يعنى توفير المناخ الملائم لانطلاق رأس المال مع التأكيد على الضمانات التي تمنع الاعتداد عليه أو إهداره . لأن رأس المال " جبان " ولقد عملت الدول على سيادة المفاهيم الاقتصادية ووضع المشكلات الإجماعية والأمنية على رأس قائمة اهتمامات الدول لإفساح الطريق أمام خطط التنمية .

ونحن عندنا ما نتحدث عن أثر السماحة والتسامح بين الأديان وأثرة في النواحي الاقتصادية لأبد أن نتوقف عند تعريف التنمية الاقتصادية وأهميتها لمجتمعنا العربي والمصري في الظروف الراهنة خاصة وأن الدراسات المستقبلية كلها تركز على النواحي الاقتصادية لما لها من تأثير في النواحي الاجتماعية والسياسية .

مفهوم التنمية : -

التنمية هي تحقيق قدر معين من نما الدخل والثروة يصاحبه قدر مناسب من نماء الثقافة والمعرفة وارتقاء بالسلوكيات .

ولقد أجمعت أغلب تعريفات التنمية على أنها عملية شاملة تتناول مختلف مقومات الاجتماعية معتمدة في ذلك على تخطيط شامل لمختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع القومي وتسير في اتجاه محدد لتحقيق أهداف محددة الأمر الذي يتطلب عمليات التنظيم والتنسيق بين مختلف نواحي التنمية لمساعدة المجتمع في إعادة بناء كاملة [١].

فالتنمية عملية تستند أساساً على المشاركة الإيجابية من جانب أفراد المجتمع مع الحكومة ممثلة في الهيئات المختلفة سواء أكانت هذه المشاركة في التفكير والإعداد أو التنفيذ وذلك استناداً إلى شعور الأفراد بالحاجة الماسة إلى ضرورة تغيير مجتمعهم لتحقيق معيشة أفضل وهذا الشعور وتلك المشاركة كفيلان بأن يبرزا بالفعل المشكلات التي يعانون منها وكيفية التغلب عليها وتحديد الحاجات الملحة التي تحقق تنمية لمجتمعهم المحلى [٢] وقد ظهر حديثاً مصطلح التنمية المستديمة .. وهو يعنى التنمية التي تلبى حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال القادمة والمقبلة في تلبية حاجاتهم .

---

[١] د / أحمد الجلاد : التنمية والبيئة فى مصر . مكتبة الأسرة ص ٢٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة ١ – ٢

[٢] د / أحمد الجلاد . التنمية . مرجع سابق ص ٢٥

فالتنمية المستديمة في جوهرها عملية تغيير يكون فيها الاستغلال للموارد واتجاه الاستثمارات وجهة التطور التكنولوجي والتغيير للمؤسسات في حالة انسجام وتناغم وتعمل على تعزيز إمكانية الحاضر والمستقبل لتلبية الحاجات والمصالح الإنسانية .[٣]

التنمية الاقتصادية : -

يقصد بالتنمية الاقتصادية تنمية مختلف الموارد الاقتصادية المتاحة والممكنة لأقصى درجة وبطريقة أفضل وخلق فرص جديدة للعمل بهدف تحسين الأوضاع الاقتصادية ..

والتنمية الاقتصادية بهذا المفهوم لا تنفصل عن التنمية الإجماعية .. فإنه لا يمكن المبحثبين الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للتنمية ..

أسباب ظهور فكرة التنمية الاقتصادية : -

١- إعادة بناء التركيب الاقتصادي والاجتماعي في العالم خاصة بعد الحرب العالمية الثانية .
٢- توفير الاستخدام الكامل أو القرب منه – للقوى العاطلة .
٣- إعادة تنظيم فنون ووسائل الإنتاج حتى يزداد الإنتاج كماً وكيفاً .
٤- ظهور الحركات الفكرية والثقافية التي تطالب بتحسين المستوى المعيشي والحضاري للإنسان بدون العالم النامي .
٥- الصراع الدولى – وخاصة بين الدول الكبرى – في تنمية اقتصادها لكى تحافظ على مركزها الدولي في العالم مما أدى لظهور برامج تنمية ونمو في هذه الدول مثل تنمية الإنتاج الزراعي وتنمية الإنتاج الصناعي[٤] وهذا يعنى أن الفكر الاقتصادي نشأ كرد فعل للحاجات البشرية المتزايدة والتى لا تتوقف .. وهذا يعنى أن التنمية الاقتصادية إنما تتم وتتحقق عن طريق إحداث تغيرات جذرية في الأبنية الاقتصادية الاجتماعية للدول الأعضاء تتناسب مع ظروف الدول ... وتقوم التنمية الاقتصادية على أساس التصنيع للسوق الداخلي وذلك بعد أن يتحقق اتساع نطاق السوق وقيام نوع من التوازن بين القطاعات الرئيسية داخل الدولة .. وهى الصناعة والزراعة .

أخلاقيات الاقتصاد ودور الأديان فيها : -

إذا كان علماء الاقتصاد يقولون بأن الاقتصاد يمثل : البنية التحتية للدولة – أي دولة .. فإن أخلاقيات الاقتصاد والتعامل السليم يمثلان الجهاز الفقري لأي اقتصاد .

ولقد جاءت الأديان كلها – ما سبقت الإشارة لتعمل على التقارب بين البشر ومنع المظالم ورد المظالم إلى أهلها ومنع الاحتكار ، والغش ، والنصب ، والغرر وغيرها .. فإذا تعدى أهل الاقتصاد هذه الحدود تحول النظام – أي نظام – إلى مجرد سوط يلهب ظهور المتعاملين معه ليل نهار – ولم تعد هناك قيم حاكمة تحكم التعامل بين الأفراد ... بل خرجت سلوكيات التعامل عن مسارها الصحيح لتصدم بسلوكيات وأخلاقيات المجتمع .

---

(٣) د / أحمد الجلاد . التنمية . ص ٢٩

[٤] د / أحمد الجلاد – سابق ص ٢٥ وأيضاً د / سعيد عبد الخالق محمود – التنمية – مجلة الوعى الاسلامى العدد ٣٦٤ ذو الحجة ١٤١٦هـ مايو ١٩٩٦ ص ٦٦ ، ٦٧

فنحن نعلم أن أي نظام بشرى عندنا يضع مبادئه وقوانينه فإن التطبيق يحتاج إلى جهاز للرقابة .. ويستطيع أي فرد - مهما كان - أن يخالف هذا النظام مادام بعيداً عن أعين الرقباء [١] .

أما الأديان فإن أي نشاط فيها - وخاصة النشاط الاقتصادي يخضع لرقابتين : -
رقابة بشرية .. ورقابة ذاتية .
أما الرقابة البشرية فنحن نجدها في مراقبة الحكام والخلفاء للأسواق [٣]وظهرت في الشريعة والنواحي الإسلامية وظيفة المحتسب لمراقبة النشاط الاقتصادي إلى جانب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .
أما الرقابة الذاتية .. فهي رقابة الضمير في داخل الفرد ... فهى رقابة لا تنفك ولا تنتهي بل هي مستمرة طوال حياة الفرد ولذلك فإن الأديان تعمل على توجيه سلوك الفرد ونشاطه الاقتصادي كسلوكه في عبادته وعندما سئل الرسول ﷺ عن الإحسان قال " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإن يراك ..[٤] "
والإسلام جاء خاتماً للأديان .. ليأخذ كل فيها وليطبق في كل زمان ومكان .. فكانت نظرته إلى الاقتصاد هي نفس نظرة الأديان السابقة عليه .
وفى الاقتصاد الإسلامي أمور ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مع ملاحظة أن هذه الثوابت هي نفسها في أي دين سابق - منها .
تحريم الربا والميسر - وحل البيع وكثير من العقود فليس لأحد أن يحل ما حرم أو يحرم ما أحل ومن المعروف أن الأصل في العبادات " الحظر " والأصل في المعاملات الإباحة فكل عبادة ممنوعة مالم يوجد ما يدل على مشروعيتها وكل معاملة مباحة مالم يثبت ما يمنعها لذلك اتسع الاقتصاد الإسلامي ليشمل أي معاملة جديدة بشرط خلوها من الموانع الشرعية (كالربا - والغرور - والميسر)
فإذا كان اقتصاد .. فلابد أن ينبنى على الأخلاقيات التي جاءت بها الأديان وإلا تحول الأمر إلى فوضى وخاف الناس من بعضهم فتتوقف عجلة التبادل والتأثير والتأثر .
أثر الإيمان في الإنتاج والعمل : -
جاءت الأديان كلها لتعريف الناس بربهم وحضهم على الإيمان به ..
ومن مقتضى هذا الإيمان بالله أن يعمل المؤمن ما أمره الله به وأن ينتهى عما نهاه عنه .
وهناك خلُقان أصيلان يتوقف عليهما جودة العمل وهما : (الأمانة - والإخلاص)

---

(٢) د / على السالوس – الاقتصاد الإسلامي ودور الفقه فى تأصيله ص١٥ هدية مجلة الأزهر المجانية .. جمادى الأول ١٤١١هـ .
(٣) بعد الاستقرار فى المدينة المنورة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بمراقبة السوق والمرور فيها وتقريع المخالفين .
(٤) الحديث صحيح – رواه مسلم – والبخاري واللفظ لمسلم .

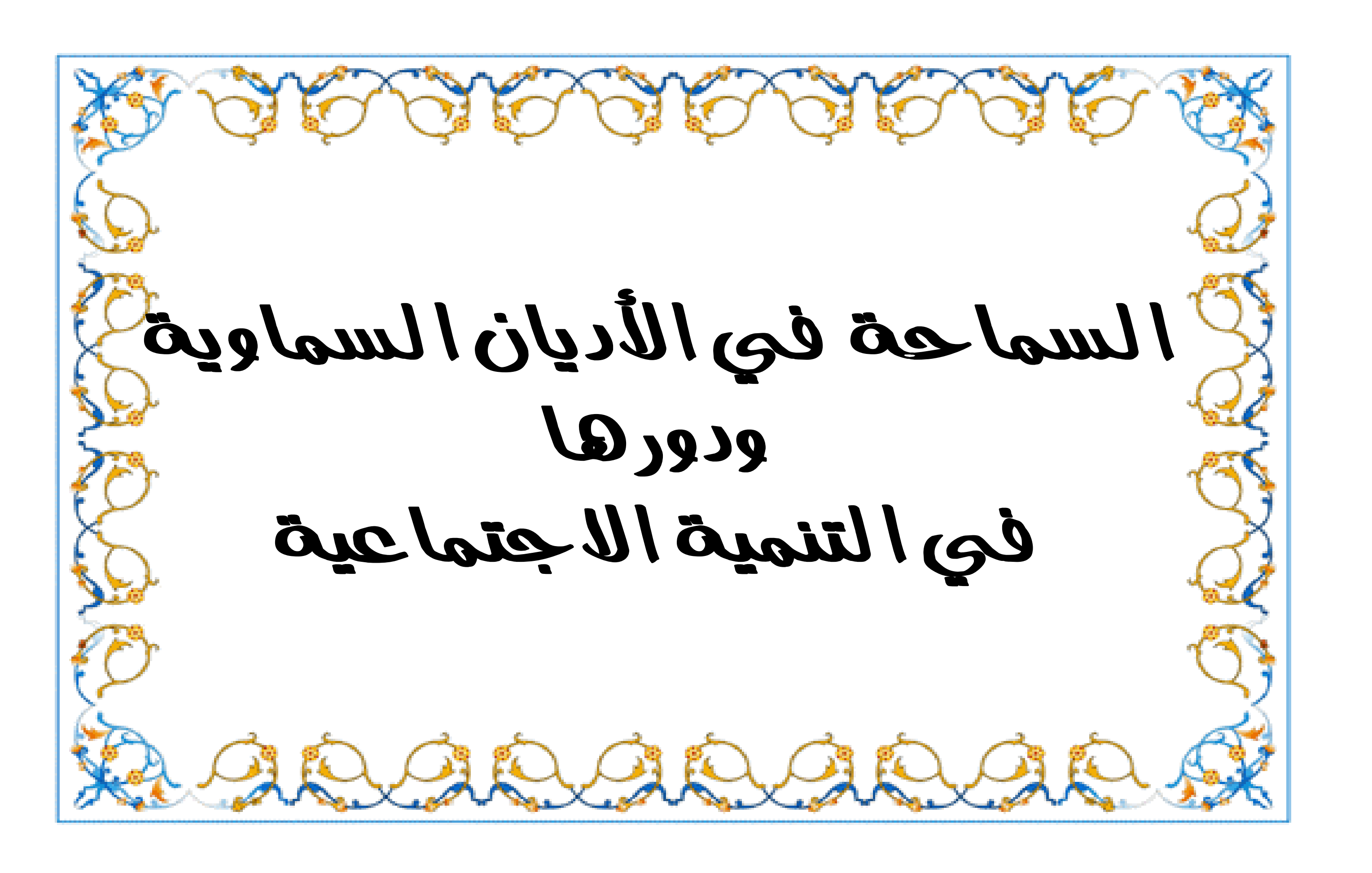
وهما في المؤمن على أكمل صورة وأروع مثال فالصانع المؤمن ليس همه أن يكتسب بصنعته ولكنه أمين على صنعته يخلص فيها جهده ويرقب فيها ربه ويراعى حق أخوته .
وهذا هو شعور المؤمن في كل عمل من أعماله أن يؤدى العمل كله ليرض الله . وأن يؤدى العمل كأنه يرى الله .. فإذا لم يبلغ هذه المرتبة فأقل ما عليه أن يشعر أن الله يراه .. وشعار المؤمن دائماً في أدائه لعمله : - " أنى أرضى ربى " وهذا يعنى جودة الإنتاج ودقته وكثرته وحدوث نوع من الرواج التجاري للمنتج المحلى بعيداً عن الاستيراد والتسول ويعنى أيضاً زيادة التماسك والتلاحم الاجتماعي مما يرفع من أسهم النواحى الاقتصادية . ولهذا رأينا الأديان كلها تحض على الإيمان بل والتعمق في الإيمان حتى ينعكس هذا الإيمان على المجتمع أموراً إيجابية وارتفاعاً عن المحرمات ومتمسكاً بالفضائل ..
فالمؤمن الصادق يقف عند حدود الله وبذلك يظل محتفظاً بحيويته وطاقته الجسدية والعصبية والعقلية والنفسية فلا يصرفها إلا في العمل الصالح أو ما يعين عليه من لهو برئ[1]
وهو حينما يأتيه الأمر من النبى ﷺ : " أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه " .. فليس أمامه إلا الإتقان في العمل لا ينظر مع من يعمل لمن يعمل ومهما كانت الظروف المحيطة فإنه يشعر دائماً برقابة الضمير .. وأنه ملاق الله ومحاسب عما كان بين يديه من عمل .
ولا يخفى أثر توجيهات الأديان لاتباعها بإحسان العمل الدنيوي والعمل الأخروي فكلاهما لا ينفصل عن الآخر مهما كانت الظروف والأحوال فالتوجيه إلى الله أولاً وأخراً .
وبعـــد ..
فإنه لا يخفى دور الأديان في الحياة ولا يخفى أهمية التقاء الأديان في نقاط محددة لرفع هذا اللبس والغموض الذي أحاط بعلاقة الأديان السماوية ببعضها .
ومن الأهمية بمكان أن يتم إظهار مبادئ السماحة في الأديان حتى تصبح عامل تجميع وتماسك داخل المجتمع الواحد ويهمنى هنا أن أقول ... أن مصر لها وضعيتها الخاصة التي قل أن نجد لها نظيراً في العالم كله .
" لقد امتاز الشعب المصري منذ آلاف السنين بميزات عديدة ومن أهمها أنه شعب مسالم يميل إلى الإسلام والأمن والاستقرار وقد استقبل شعب مصر منذ آلاف السنين أنبياء الله فقد تزوج سيدنا إبراهيم عليه السلام من السيدة / هاجر المصرية وانجب منها سيدنا إسماعيل جد العرب واستقبلت مصر سيدنا يوسف عليه السلام وتربى موسى عليه السلام في أرض مصر ولجأ سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام إلى مصر وتزوج سيدنا محمد ﷺ من ماريه القبطية المصرية فالمصريون لهم صلات قديمة وقوية بالأنبياء وهم أول الشعوب التي عرفت التوحيد .. وعندما جاء الإسلام إلى مصر تلاقت طبيعة هذا الشعب على اختلاف معتقداته مع طبيعة الدين الجديد .

[1] د / يوسف القرضاوى – الايمان والحياة – ص٢٩٨ مكتبة وهبه .. ط ١١ – ١٩٩٨م – القاهرة .

تلاقت طبيعة هذا الشعب المصري الآمن المسالم المحب للدين مع طبيعة الدين الإسلامي دين السلام والمحبة والاستقرار.وامتزجت هاتان الطبيعيتان في أعماق شعب مصر حتى يومنا هذا [1] ولا يمكن أبداً أن تنقلب هذه الطبيعة المميزة لهذا الشعب فالجميع يحيون في هذا الوطن بلا تميز لا فرق بين مسلم أو مسيحي أو يهودي فقد انصهر الجميع في بوتقة هذا المجتمع .. وتحول الجميع إلى مصريين .. وليس هناك الآن أهم من إظهار روح السماحة والتسامح بين الأديان حتى يعود لهذا الوطن شكله الجميل وبنيته المتماسكة وحتى تتفرغ البلاد للبناء والتعمير وتجنى ثمار التنمية الشاملة التي تشهدها مصرنا الغالية وينعم الجميع بالأمن والاستقرار .. فالأمر جد .. ليس فيه هزل .

لابد من التعاون بين الجميع ولابد من التركيز على ما يجمع الكل لا ما يفرقهم .

(1) د / محمود حمدى زقزوق – هموم الأمة الاسلامية ص٥١ ، ٥٧ مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٠م



السماحة في الأديان السماوية
ودورها
في التنمية الاجتماعية

المبحث الخامس
السماحة في الأديان السماوية ودورها في التنمية الاجتماعية

<u>أولاً : معنى التنمية :</u>

يعتبر مصطلح التنمية قديماً من الناحية اللغوية . ولكنه يعتبر من الناحية الفلسفية جديداً ظهر بعد الحرب العالمية الأولى .

والتنمية هي تحقيق قدر معين من نماء الدخل والثروة يصاحبه قدر مناسب ومتواكب من نماء الثقافة والمعرفة وارتقاء بالسلوكيات . وهى تشمل ناحيتين اقتصادية واجتماعية تربوية [٤]

ولقد أجمعت أغلب تعريفات التنمية على أنها عملية شاملة تتناول مختلف مقومات الحياة الاجتماعية معتمدة في ذلك على تخطيط شامل لمختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع القومي وتسير في إتجاه محدد لتحقيق أهداف محددة الأمر الذي يتطلب عمليات التنظيم والتنسيق بين مختلف نواحى التنمية لمساعدة المجتمع في إعادة بناء كاملة.

<u>التنمية الاجتماعية : -</u>

تركز التنمية الاجتماعية على الإنسان فتعمل على تنمية قدراته المختلفة إلى أقصى حد حتى تمكنه من التكيف مع الظروف المتغيرة الطارئة الجديدة وحتى يمكن تحقيق أقصى حد ممكن من استثمار للطاقات والإمكانات البشرية الموجودة لدفع عجلة التنمية الاقتصادية حيث تعمل على تزويد الفرد بمهارات وخبرات جديدة ..

كما تعمل التنمية الاجتماعية على تغيير اتجاهاته وقيمة وعاداته التي تقف عقبة في سبيل التغيير والتحديد فضلاً عن الاهتمام بظروفه الصحية والتعليمية . كما أنها تهتم بإنشاء تنظيمات جديدة ونظم مستحدثة لكى تفى بحاجات الأفراد وإشباعها بقدر الإمكان وتقديم مختلف الخدمات التي يحتاجونها ومن ثم فهى توفر المناخ الذي تتم فيه عملية التنمية الاقتصادية من حيث أن العنصر البشرى هو وسيلة التنمية وغايتها .

والعمليتان (الاقتصادية والاجتماعية) تهدفان إلى تحسين ظروف المجتمع ورفع مستواه لتحقيق معيشة أفضل للإنسان [١]

---

(٤) د / أحمد الجلاد – التنمية والبيئة فى مصر – مكتبة الأسرة – ٢٠٠١

[١] د / أحمد الجلاد . التنمية والبيئة .. مرجع سابق .. ص ٢٤ ، ٢٥

فالتنمية إذن عملية اجتماعية في المقام الأول . حيث لا يمكن المبحثين جانبيها الاقتصادي الاجتماعي اللذين يعتبران وجهين لعملة واحدة كل منهما مكمل للآخر حيث لا يمكن أن تتحقق أهداف التنمية الاقتصادية دون أن تصاحبها تنمية اجتماعية والعكس صحيح فالتنمية عملية مستمرة ستند أساسً على المشاركة الإيجابية من جانب أفراد المجتمع وإلا تفشل نواحي التنمية .

والتنمية تعتبر في حد ذاتها وسيلة للارتقاء بمستوى الإنسان حيث تستخدم الطبيعة البشرية لتحقيق هذه التنمية وهناك اعتقاد قاصر وأن الإمكانية المطلقة للبيئة قادرة على الوفاء باحتياجات الإنسان من الموارد الطبيعية بدن حدود . حيث أدت التنمية التقليدية والتى استخدمت تكنولوجيا غير مناسبة - إلى استنزاف موارد البيئة الطبيعية أو في العمليات التحويلية لهذه الموارد إلى سلع وخدمات ضرورية للتنمية مما سبب التلوث بأنواعه المتعددة [٢]

وهكذا يتضح لنا أن التنمية الاجتماعية تركز أساسً على العنصر البشرى وهى بذلك تسير في خط مستقيم لرفع مستوى الكفاءة والارتقاء بالمجتمع من كافة نواحيه .

هنا يظهر لنا دور السماحة والتعايش السليم بين الأديان الثلاثة على أرض مصر .. وأهميته في التنمية الاجتماعي ..

صورة من قريب

في بقعة صغيرة من الأرض التي تتجاوز مساحتها كيلو متر مربع يقوم دليل ساطع على ما عرفته مصر من سماحة وهى أرض الأنبياء بها أبرز علامات الأديان الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية شاهد على ذلك تلك البقعة التي ليس لها نظير في أي مكان في العالم والتى تضم رموز الأديان الثلاثة جامع عمرو بن العاص أو مسجد أقيم في مصر وأفريقيا وأقدم كنائس مصر القبطية كنيسة أبي سرجة والكنيسة المعلقة ومعبد بن عزرا .. وفى درب هذا المكان تسمع الآذان إلى جوار أجراس الكنائس مع ترانيم المعبد اليهودي وبها يؤدى أبناء الأديان الثلاثة شعائرهم في طمأنينة وسلام[١]

أنها مصر بلد السماحة والتسامح واحترام الآخر ..

خصوصية المجتمع المصري : -

في دراسة رائدة عن " رؤى العالم في المجتمع المصري المعاصر " قام بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر وقام بها د / أحمد أبو زيد .. تطرق فيها إلى علاقة المصريين ببعضهم البعض وخاصة العلاقات مع أهل الأديان الثلاث في مصر يقول د / أحمد أبو زيد :-

وكان لابد في مثل هذه الدراسة الشاملة أن يتطرق البحث إلى موضوع علاقة المسلمين والأقباط من وجهة نظر الأشخاص الذين تم اختيارهم حسب معايير موضوعية من مختلف شرائح المجتمع . وكانت التساؤلات الخاصة بموضوع العلاقة بين المسلمين والأقباط تتناول عدداً من

---

[٢] د/ مصطفى سويف : نحو بيئة إجتماعية أفضل . مجلة الهلال العدد الثانى للعام السابع بعد المائة فبراير ١٩٩٩ ص ٢٤ وما بعدها

[١] مصطفى نبيل .. لقاء الأديان .. مجلة الهلال – ٢٤ للعام ١٠٧ فبراير ١٩٩٩ ص٦

النقاط المهمة تتلخص في إلى أي حد يعكس الإنسان المصري - بصرف النظر عن ديانته - الخصائص والمقومات الفزيقيقة والثقافية والاجتماعية لهذه المجموعة .. ومن ذلك تطرقت التساؤلات حول طبيعة العلاقات التي تربط المسلمين والأقباط في المجتمع المصري ونظرة الأقباط إلى المسلمين وإلى أنفسهم وبالعكس أي نظرة المسلمين إلى الأقباط وإلى أنفسهم وكانت هذه التساؤلات تثير اهتمام بل تحمس الأشخاص الذين أجرى بينهم البحث وفيهم مسلمون ورجال دين إسلامي ومسيحيون ورجال دين مسيحي . بل عدد من اليهود القلائل الذين مازالوا يعيشون في مصر . وعلى الرغم من أن الموضوع بطبيعته شائك وحساس أو هكذا كنا نتصور ولكن الثقة المتبادلة بين أطراف الحوا كانت كفيلة بالتغلب على كل الصعاب [٢]

والشيء الذي ظهر جلياً واضحاً من خلال اللقاءات والحوارات أنه ليس هناك أي إحساس من جانب المسيحيين بأنهم أقلية لها وضعها الخاص في المجتمع بل كان الإحساس بأنهم مع غيرهم هم نسيج هذا الوطن والنسج المتكامل هو الذي لا يمكن أن تظهر فيه عيوب مهما كانت ..
والخصوصية المصرية هنا تقبل الآخر والتعامل المؤدب والمظهر الحضاري في العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع المصري دون النظر إلى ديانة أي فرد من افرد المجتمع بل النظر إلى الجميع على أنهم هذا الوطن ..

وإذا كانت هناك بعض الهنات التي تظهر بين الحين والحين إلا أنها تظل في مجملها أعملاً فردية لا تصور السلوك السليم لبقية أفراد الجماعة الإنسانية الواسعة التي ينظمها هذا المجتمع .
احترام الأديان والتنمية الاجتماعية

إن التنمية الحقيقة هي أن نربي الإنسان على الفضائل والقيم وتلك هي رسالة الأديان عموماً لأن الشخص هو اللبنة الأولى في بناء المجتمع إذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع . إن تنمية الإنسان ليست بالشيء الهين السهل .. لأننا نعلم أن بناء المصانع سهل وأن تعبيد الطرق وشق الصخور سهل . أما بناء الإنسان وإعادة صياغته فأنه أمر صعب . إن الإنان قدره عظيم ودوره في المجتمع خطير والأمم الناجحة هي التي تعمل على تظفير حياة أفضل لأبنائها وليس هناك مرب أفضل من رجل الدين لأنه يوجه ويرشد ليبنى الإنسان من داخله وخارجه ليكون هناك اكتمال بين الروح والجسد وليحدث ذلك التوازن المطلوب بين مطالب الروح ومطالب الجسد . ولن يستطيع الإنسان أن يفعل ذلك من تلقاء نفسه بل لابد من موجه يوجهه تكون مهمته تأصيل القيم في النفوس وتهيئة المناخ العام يعمل على إيجاد الفرد الصالح وينمى فيه روح الولاء للدين والانتماء للوطن وخلق جو من التآلف بين الفرد والمجموع لأن

---

[٢] د/ أحمد أبو زيد تأملات فى مسألة الاقليات : تجربة قبطى من أسيوط مجلة الهلال ع٧ للسنة ١٠٢ يوليو ١٩٩٤ ص٤٠ :٤١

الأمة مهما ارتقت من الناحية التكنولوجية وما يتبعها فإن التفكك الاجتماعي يقضى على كل تقدم منشود . بل ويعمل على العودة إلى الوراء [١]

ولذلك فإنه من المهم التأكيد على دور الأديان الكبير والمهم في عملية التنمية الاجتماعية .. ويكون ذلك كالآتي :-

أولاً : التأكيد على نقاط الإلتقاء بين الأديان وهى كثيرة والعمل دائماً على تقديس هذه الأديان في وسائل الإعلام بدلاً من تقديمها بصورة مشوهة مشوشة ..

ثانياً : التقليل من قيمة الاختلافات بين أصحاب الأديان .. ذلك أنها تتفق في الأصول لكن الاختلاف في الفروع لا يبرز أبداً أن توجه إليها سهام النقد الخارجية .

ثالثاً : العمل بصورة مستمرة على تبيان مظاهر الرحمة والسماحة في الأديان السماوية حيث أن سيادة روح التسامح والسماحة من أهم نقاط التنمية الاجتماعية السليمة والسريعة داخل المجتمع الواحد .

رابعاً : العمل بصورة مستمرة على سيادة مبدأ احترام الآخرين وتقبلهم وليس الصراع معهم .. فإن تعاليم الأديان جميعاً تخص على ذلك .

" أما اتفاقها وعدم تخالفها فقد ثبت وأما ما يراه البعض من اختلاف أهل الأديان فليس من تعاليمها ولا أثر في كتابها بل هو من صنع بعض رؤساء هذه الأديان الذين يتجرون بالدين ويشترون بآياته ثمناً قليلاً ألا ساء ما يفعلون "[١]

وإن البحث الدقيق في مقارنة الأديان واستجلاء غوامضها وما فيها يوضح بما لا يدع مجلاً للشك هذا الالتقاء بين الأديان والتأكيد على حرية الآخرين وتقبلهم والتعامل السليم معهم .. أما ما نسمعه بين الحين والحين من أحاديث عن الصراع الحضاري وغيره فإنما هو لغو باطل لا أثر له بين أهل الأديان جميعاً . وليس أدل على ذلك من هذا التعايش السلمى السليم بين أهل أهل الديانات المختلفة فوق تراب هذا الوطن دون صراع أو تشكيك .

خامساً : دعم وإنشاء جمعيات التقريب بين الأديان فإنها خير دليل على احترام الأديان من جانب الجميع ودعم هذه الجمعيات يعتبر عاملاً مهماً في وحدة الوطن والحفاظ على المكاسب الاجتماعية بل خير معين على التنمية الاقتصادية الحقيقة وإن جمعيات التقريب بما تظهره للناس من تآلف وتآخ بين أهل الأديان جميعاً إنما تعطى الصورة الصادقة بما يجب أن يكون .. ونحن نعلم أنه قد تأسست جمعية التآلف والتقريب في بيروت بعد عودة الأستاذ الإمام محمد عبده إليها من باريس موضوعها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة وإزالة الشقاق من بين أهلها وتعريف الإفرنج بحقيقة الإسلام من أقرب الطرق وقد ضمت هذه الجمعية بين أعضائها علماء كبارً من مسلمي الترك وإيران والهند وبعض كبار الإنجليز وكان أكبر أعضائها – ودعاتها في لندن القس إسحاق

---

[١] الشيخ / منصور لرفاعى عبيد .. الدعاة والتنمية الإجتماعية . مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٧ ص ٦٦ وما بعدها

[١] هذا النص للشيخ جمال الدين الأفغانى .. فى / محمود أبو رية دين لله واحد . مرجع سابق ص١٠٨

طيلر بل كان هو داعيها الأول في لندن وكان الأستاذ محمد عبده صاحب الرأي الأول في موضوعها ونظامها [1]

ونحن الآن في حاجة إلى مثل هذه الجمعيات للعمل على إعلاء صوت الحق بعيداً عن التعصب المذموم وبعيداً عن الكلمات الفارغة التي لا تعنى شيئاً ذا بال من قريب أو بعيد بالنسبة لأصول الأديان الثلاثة..

إن تباين العقائد والأديان حكمة إلهية يصعب على المرء إدراك كنهها وكشف سرها بيد أن هذا التباين لا يحول دون اتحاد القلوب وصفاء النفوس فمثله مثل الزهور المتنوعة الألوان التي إذا جمعت في باقة متناسقة بهرت العيون وهزت أوتار الشعور[2] .

سادساً : إشاعة جو من الحرية للبحث الخالص لأنه بدون حرية فلا مكان للتنمية الاجتماعية ولا مكان أيضاً للتعرف على ما عند الآخرين وإننا هنا ننادى بهذه الحرية اللازمة للبحث والتحرى وفى نفس الوقت ننادى أيضاً بأهمية التباحث الخالص للتعرف على جميع الأديان .. للربط بين الجميع .. بين أصحاب الفكر والعقل من المسلمين وأهل الكتاب جميعاً وتعمل على تأليف القلوب بين أهل الأديان وصفاء النفوس بين جميع بنى الإنسان . وإن خير ما يتبعه المسلمون مع غيرهم من أهل الأديان الأخرى هو الأخذ بالقاعدة الصحيحة المعقولة التي وضعها العلامة السيد محمد رشيد رضا حيث قال " نتعاون على ما نشترك فيه ويعذر بعضنا بعضاً فيما نختلف عليه "[3]

وأخيراً : لابد من التأكيد على أهمية دور العبادة في هذا المجال . حيث يلعب المسجد دوراً مهماً في حياة الأفراد . وكذلك الكنيسة والمعبد .ز ومن الأهمية بمكان أن يتم التأكيد من جانب الجميع على فضيلة التسامح والسماحة كمنهج حياتي يمارسه الأفراد يومياً من خلال سعيهم وممارستهم لأعمالهم وأشغالهم .. ونحن ننبه هنا على أهمية دور وسائل الإعلام في هذا المجال (المسموعة والمرئية والمقروءه) وإبراز أهمية السماحة بين الأديان في إقامة مجتمع متماسك متوازن تخفى فيه العصبيات وينتهى كابوس التعصب وتعود القلوب سليمة نقية إلى خالقها سبحانه وتعالى ..

---

(١) محمود أبو رية : دين الله واحد .. مرجع سابق ص٩٢

(٢) أبور رية سابق ص٩١

(٣) المرجع السابق نفسةص١٠٤

سُئل الشيخ جمال الدين الأفغاني رحمه الله عن دين المستقبل فقال :هذه الآية من كتاب الله ....

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

(البقرة ٦٢٠)

شرح غريب الألفاظ:

﴿ هَادُواْ ﴾

صاروا يهودا

﴿ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ ﴾

عبّاد الكواكب

ترجمة المعاني:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

Verily! Those who believe and those who are Jews and Christians, and Sabians, whoever believes in Allâh and the Last Day and does righteous good deeds shall have their reward with their Lord, on them shall be no fear, nor they grieve.

تفسير الجلالين:

"إن الذين آمنوا" بالأنبياء من قبل
"والذين هادوا" هم اليهود
"والنصارى والصابئين" طائفة من اليهود أو النصارى
"من آمن" منهم
"بالله واليوم الآخر" في زمن نبينا
"وعمل صالحا" بشريعته
"فلهم أجرهم" أي ثواب أعمالهم
"عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" روعي في ضمير آمن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها

خاتمة البحث

بعد الذى قدمنا فى الصفحات السابقة يمكننا القول بأن نقاط الالتقاء بين أصحاب الديانات الثلاث أكثر بكثير من نقاط الالتقاء بين أصحاب الديانات الثلاث أكثر بكثير من نقاط الاختلاف ..

وإن المجتمع المصري الذى ينفرد بميزة التعايش السليم والسلمي بين أصحاب الديانات المختلفة لابد له من الحفاظ على هذه الميزة المهمة التى لا تتوافر لأى مجتمع آخر سواه ..

وأنه إذا كانت التنمية الاجتماعية تهتم ببناء الفرد بناءاً سليماً وصحيحاً فإنه لابد أن تركز برامج التنمية هذه على نقاط الالتقاء حتى يستمر النسيج المصري سليماً قوياً لا تنفذ منه خطط المتآمرين مهما كانت قوتها ..

إن التنمية التي تتوجه إلى الإنسان وإعادة بناءه لهى أصعب بكثير من بناء النواحي الاقتصادية المختلفة وإن هذه التنمية لابد وأن تستمر مهما كانت العثرات والعوائق وإن إظهار مظاهر السماحة والتسامح بين الأديان السماوية الثلاث لمن أكثر العوامل دفعاً لبرامج التنمية الاجتماعية واستمرار

الباحث

مراجع البحث

١- القرآن الكريم .

٢- محمود أبو رية : دين الله واحد .. مكتبة الأسرة الهيئة العامة للكتاب .. ١٩٩٤م

٣- د / وليم سليمان قلاده : المسيحية والإسلام على أرض مصر .. كتاب الحرية الجزء التاسع – الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٦م .

٤- د / أدوار غالى الذهبى : " النموذج المصرى للوحدة الوطنية " مكتبة الاسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ م .

٥- سيد قطب : " فى ظلال القرآن " دار الشروق – القاهرة الطبعة الحادية عشر ١٩٨٢ م

٦- د / أحمد محمد الحوفى : " سماحة الإسلام " دار نهضة مصر – القاهرة ط الثالثة ١٩٩٨م

٧- د / أحمد الجلاد : " التنمية والبيئة فى مصر " مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٠م

٨- الشيخ / منصور الرفاعى عبيد : " الدعاة والتنمية الاجتماعية " مكتبة الدار العربية ط.الأولى القاهرة ١٩٩٧م

٩- د / يوسف القرضاوى : " الحلال والحرام فى الإسلام " مكتبة وهبة – الطبعة الثانية والعشرون القاهرة ١٩٩٧م

١٠- د / يوسف القرضاوى : " الإيمان والحياه الطبعة الحادية عشرة " مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٨م .

١١- الشيخ / محمد الغزالى : " التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام " الطبعة الثانية دار النشر والتوزيع الإسلامية القاهرة ١٩٩٣ م

١٢- محمود أبو رية : " دين الله واحد " - مكتبة الأسرة القاهرة ١٩٩٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

١٣- د / محمود حمدى زقزوق .. " هموم الأمة الإسلامية " مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠١ م .

١٤- محمد عطية الإبراش : " عظمة الإسلام " مكتبة الأسرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٢ م .

١٥- الأمام محمد بن جرير الطبرى : " جامع البيان فى تفسير القرآن " الطبعة الأميرية - بولاق - القاهرة ١٣٢٨ هـ

١٦- د/ على السالوس : " الاقتصاد الإسلامي ودور الفقه فى تأجيله " هديه مجله الأزهر جمادى الأولى ١٤١١هـ

١٧- مجلة الوعى الإسلامي .. العدد ٣٦٤- ذو الحجه ١٤١٦هـ مايو ١٩٩٦م الكويت

١٨- مجلة الهلال – القاهرة – العدد السابع – العام الثانى بعد المائة يونيو ١٩٩٤م ..العدد الثانى – العام السابع بعد المائة فبراير ١٩٩٩م

١٩- مجلة الدوحة – القطرية – العدد ١١٩ . نوفمبر ١٩٨٥ – العدد ١٢٠ ديسمبر ١٩٨٥م

٢٠- مجله المنهل – السعودية – العدد ٥٢٦ – المجله٥٧ العام ٦١ أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٥ م

فهرس